محمد المجذوب



قصة تاريخية حوارية

مؤسسة الرسالة

محمّد المجذوب



الآيات الثلاث

قصة تاريخية حوارية

مؤسسة الرسالة

الآيات الثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

هـــذه الحواريـــة

في السيرة النبوية كنوز من الصور الموحية التي لا يستوعب القلم جوانبها جميعاً ، مهما يبلغ من البراعة والدقة . وقـــد يتوارد على احداها العديد من الكتاب والشعراء ، ولكل واحد أسلوبه ، ولكل منهم نظرته ، والزاوية التي يطل منها ، وبذلك يتفاوتون في العرض والعمق ، ولكن أحدهم لا يغني عن الآخر وليس لمجموعهم حق الادعاء بأنهم استوفوا حقائق الصورة الواحدة من تلك السيرة المدهشة . ولا عجب فالسيرة النبوية أشبه بالمتحف الكوني – الطبيعة – الناس كلهم ينظرون إلى بدائعه ، والادباء والشعراء منذ كانوا يتغنون بروائعه ، ومع ذلك فليس لأحد أن يزعم أنهم استنفدوا عجائب الجزء الصغير من ذلك المتحف الكبير .

والعناصر الأصلية في هذه الحوارية مبثوثة في طوايا الكتب ،

ومنثورة في كثير من الصحف، وقد افتن الناثرون والناظمون في عرضها واستجلائها ، وظلت وستظل على ذلك كله جديدة كأنها لم تكشف بعد ...

ولقد تناولتُ هذه العناصر من قبل في قصة وصفية ، وأتناولها الآن بهذه الطريقة الحوارية ، ولعلي أعود إلى عرضها في ملحمة شعرية ، وسأظل على ذلك واثقاً من ان ثمة آفاقاً فيها لم أوفق إلى استكشافها بعد ..

ويبقى عليَّ ان أقول للقارىء : إن الأسلوب الحواري ليس موقوفاً على المسرح أو الشاشة ، وانما هو لون من التعبير الفني له خصائصه المميزة .. من أهمها قدرته على إثارة مواهب القارىء ، ليشارك مؤلف الحوار في استشفاف مكنونات الصدور من خلال الحروف والسطور ، وبذلك يدرك من اللمحة القصيرة ما تعجز عنه العبارة الكبيرة ... وإنها لميزة تستحق التقدير الكثير ..

ولا جرم من بواعث البهجة لنفسي أن أوفق إلى مثل تلك المشاركة الروحية ، تعقدها هذه الحوارية بيني وبين قارئها ... وسأكون جد سعيد إذا تجاوزتْ ذلك إلى مضاعفة اهتمامه بموحيات تلك السيرة المكرمة ، التي لن تهتدي البشرية إلى طريقها القويم إلا في اقتفاء آثار صاحبها العظيم ، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم .

شوال ١٣٩١ هـ　　　　**المؤلف**

المشهد الأول

مسرح العمل : قاعة استقبال في دار دهقان جيّ (**بودخشان**).
الأشخاص : « برفين » مملوك الدهقان. « مابه » ولده .
« روزبة » «جمشيد» « فروزون » أصدقاء الدهقان .

برفين : هذه عشرون سنة تنطوي من عمري الجديب في خدمة هذا الدهقان .. وكم شهدت خلالها من سهرات ، وسمعت من مناقشات ذهبت أدراج الرياح !.. إن كل مفكر في فارس ناقم من وضع هذا المجتمع الحائر المضطرب ، ولكن لا أحد منهم يعلم ماذا يجب أن يعمل .. انه لا « ماني » ولا « زرادشت » ولا « مزدك » استطاع أن ينقذ مظلوماً أو يحرر رقيقاً ، وهاأنذا أَرِثُ العبوديةَ ابناً عن أبٍ عن جد ..

فماذا أفادتنا هذه الثرثرات التي يسمونها فلسفات ! .

(وقع أقدام .. ثم يدخل الصغير « مـابه »)

مـابه : تحية النار لك يا برفين ...

برفين : وللسيد الصغير ...

مـابه : انك لتفزعني بهذا اللغو لا تنفك تخاطب به نفسك !

برفين : لو كنت مكاني لما تركت اللغو ...

مـابه : ولماذا ؟

برفين : عندما تكبر ستعلم لماذا ... **(وقع أقدام)** هذا أبوك قد جاء معه زوّاره فاخرج قبل أن يخرجك ...

مـابه : لن أخرج .. أحب أن أظل هنا لأستمع أحاديثهم العجيبة ...

برفين : انها ثرثرة لا نهاية لها ...

(يدخلون)

ودخشان: أراك هنا يا بني ...

روزبة : تحياتي لك أيها العزيز مابه.. ولك يا برفين العبوس..

مـابه : ليهنك مرحك ... أيها الخطيب الـ ....

فروزون : الـ ... الخبيث ... أليس كذلك ! .

جمشيد : بل الطيب جداً ....

(ضحك)

مـابه : ايذن لي يا أبت أن أحضر بعض سهرتكم ...

بودخشان: ولكن ...

مـــابه : أرجوك ..

بودخشان: ولكنك ستنهض مبكراً للقيام بنوبتك في ايقاد النار المقدسة ، أيها الكاهن المزدكي الصغير ...

مـــابه : لن يمنعني سهر ساعة من هذا الواجب .. أرجوك يا أبت ..

روزبة : وأنا مع مابه أرجوك ..

جمشيد : وكلنا مع مابه نرجوك ..

فروزون : مثل مابه جدير بحضور أحاديثنا ....

روزبة : وليثق فخامة الدهقان أنْ لا خوفَ على عقله الكبير من تفكيرنا المثير ...

الدهقان : ولكن ... ان في اندفاعكم حرارةً من شأنها أن تؤذي القلوب الغضة ...

روزبة : حقاً ولذلك سأجعل كلامي في منتهى الهدوء .. بعيداً عن الاندفاعات الحمقاء .

بودخشان: فلتبق اذن يا مابه .. حتّى تستشعر الحاجة الى النوم ..

مـــابه : شكراً يا والدي الجليل ...

بودخشان: لنتابع حديثنا ... هناك بقية لابد من الحاقها بكلامي ، وهي أن المزدكية لا تزال رغم كل شيء أفضل حل لمشكلات الجماعة الفارسية ...

روزبة : هذا رأيك ... ولكنه لا يزال بحاجة الى برهـــان مقنع ..

بودخشان: حسب المزدكية فضلاً أنها هيأت نوعاً من التقارب

من شأنه أن يزيل الكثير من فوارق الطبقات ..

جمشيد : وأين حدث هذا ؟..

بودخشان: حدث في اكتشافها موطن العلة من جسم المجتمع .. وذلك حين دعت الى تهديم سلطان المال ، اذ اعتبرته مشتركاً بين الناس جميعاً . ثم حين دعت الى تحطيم سلطان الشهوة ، فجعلت المرأة متاعاً شائعاً لا يجوز احتكاره .. وبذلك شقت الطريق الى سلام لا خصام فيه .. فهل في وسع روزبة أن ينكر هذه الحقائق ؟.

روزبة : بل في وسع كل فارسي أن يؤكد أن المزدكية لم تحدث في مجتمعنا الشقي سوى مضاعفة المشاكل . وهذا السلام الذي تبشر به لا ندري أين طلائعه !..

جمشيد : لعلها في تلك الفوضى التي أغرقت فارس بالدم والحقد .. منذ انطلق الأراذل يقتحمون الدور ، لينزعوا منها الأموال والنساء !..

روزبة : عفواً يا سيدي الدهقان اذا قلت لك : ان هـذه أحكام لا تنطبق على الواقع الذي لا يمكن أن يغيب عن تفكيرك النافذ ...

بودخشان: ولكن ... مثل هذه الأحداث لا مندوحة عنها في مطالع كل انقلاب اجتماعي . وهي لن تلبث الا قليلاً حتى تألفها النفوس . وتستقر الأمور عـلى أساسها . ويومئذ تتجلى المزدكية على حقيقتهـا شرعة صالحة لبناء عالم سعيد ...

جمشيد : اسمحوا لي أن أتمم بينات روزبة ، فاذكّر فخامتكم بأنكم الوحيدون الذين تؤيدون المزدكية بدافع من القناعة الفلسفية ، على حين لم يبقَ في فارس من يقف بجانبها حتى اليوم سوى المنتفعين بغنائمها !..

روزبة : هذه حقيقة بارزة .. ولتوكيدها أذكّر كم بأن زمناً غير يسير قد مر حتى اليوم على شيوع المزدكية ، وقد أتيح لها أن تستولي على سياسة الدولة ، وتظفر بحماية الأكاسرة أنفسهم ، ومع ذلك لم تفعل شيئاً سوى تكثيف البلاء !.

جمشيد : ولنكن صرحاء أكثر ... ألا ترون البيت الكسروي لا يزال فوق البشر ، يدعي أن في عروقه دمـــاء الألوهة . فليس لفرد من الشعب أن يشاركه في شيء من حق الحكم ؟ ! .

روزبة : وها هوذا الشعب الفارسي لا يزال خاضعاً لتقسيمات ظالمة ، فليس لأحد من العامة أن يشتري عقاراً من أمير أو كبير .. بل ليس لأحد منهم أن يبدل حرفته لئلا يتجاوز حدود طبقته ! .. على حين أن للكهنة والأشراف الحق كله في أن يفعلوا ما يشاؤون في من دونهم من هذه الطبقات !..

جمشيد : هذه هي الحقائق التي لا سبيل الى نكرانها ... وهي تقول لك بصراحة مدوية :لا .. لا .. أيها الدهقان الجليل ... ان المزدكية لم تصنع شيئاً أكثر من هذا

الذي نلمسه من مضاعفات المحن ...

بودخشان: أنا لم أزعم أن المزدكية قد حققت كل أهدافها ... بل أقول انها ما زالت في مرحلة التجارب .. وحسبها فضلاً أنها من المرانة بحيث لا تصر على الخطأ ، بل تُقِرُّ بهِ وتعمل على تداركه . ولذلك ترونها قد عادت عن كثير من محاولاتها الأولى ..

روزبة : أوه!.. ومتى كانت حياة الشعوب مخبراً للتجارب!.

جمشيد : لو أن أطباء مدرسة جُنديسابورَ مثلاً قد أقدموا على فتح بطون الناس رغبة في التجربة لثار بهم الناس ، ولهدموا مدرستهم على رؤوسهم !..

روزبة : ولكن حُماة المزدكيةِ يصرون على فتح البطون والقلوب . ويجدون مع ذلك مَن يتبرع بالدفاع عن حكمتهم الفائقة !...

(همهمات من هنا وهناك)

روزبة : لقد آن لفارس أن تدرك أنها لن تجد خلاصها من هذا الديجور الا بانتصار النور ..

جمشيد : حقاً ... لا خلاص لفارس إلا بانتصار النور ..

فروزون : الآن أجد من حقي أن أتكلم .. لأقول لروزبة وجمشيد : كفى ... لن نقبل ما تذهبان اليه ... انها دعاية مغلقة لمذهب لا نحبه !..

بودخشان: ودعني أقل لهما أيضاً : ان دعوتكما الى ديانة (ماني) لن تصادف سامعاً ... انها لَنِحلة عَقَّى

عليها الزمن.. وكل حماسة لإحيائها فهي مشبوهة!..

روزبة : وهل تحسب أن مذهب **(ماني)** قد انتهى بمقتله ؟!. ان هناك ملايين مثلي لا يزالون موقنين بأنه الطريق الوحيد لانقاذ فارس ..

جمشيد : اسمحوا لي أن أقدم نفسي اليكم كواحدٍ من هذه الملايين المؤمنين ..

فروزون : واسمحوا لي أن أقدم نفسي كواحد من ملايين الكافرين بهذا المذهب !..

روزبة : ما أحسبك الا تغالط نفسك يا فروزون .. فلنسأل العزيز مابه .. ان فطرته السليمة وذكاءه الوقاد لا يعرفان التصنع ...

بودخشان: ولكني لاأسمح باقحام (مابه) في هذه المعمّيات.. أي مابه .. لا بد أنك شديد الرغبة في النوم !..

مـــابه : بل اني شديد الرغبة عن النوم يا أبت ..

بودخشان: على أي حال أريد لك أن تنام ... فقـــد سهرت وسمعت ما فيه الكفاية ... برفين !..

برفين : سيدي !...

بودخشان: ويحك !.. وأنت هنا أيضاً أيها العبد المنكود !.

برفين : بالتأكيد لست هنا ... لأنني كنت غافياً طوال الوقت .

بودخشان: خذ بيد مابه الى حجرة نومه.. والزم خدمته حتى يغفو ..

(يخرجان ..)

بودخشان: لا أكتمك يا روزبة أن بلاغتك لم تنقذك مـــن

السقوط هذه المرة .. وإلاّ فقل لي : لماذا اصطفيت
ماني دون حكماء فارس جميعاً !... لماذا آثرته على
زرادشت مثلاً ؟!..

روزبة : لأن مذاهب المجوسية كلها قد انتهت الى إفلاس ...
غير حكمة ماني ..

بودخشان: ولماذا ؟

روزبة : لأنها الوحيدة التي تقيم ركائز الخلاص على صخرة
الواقع ..

فروزون : أما أنا فلا أرى هَذْراً أبعد عن الواقع من هذه
الحكمة ..

بودخشان: وأنا لا أومن بالواقع أيها الخطيب روزبة .. فكثيراً
ما يكون الواقع فاسداً وباطلاً ... ولكني أفتش
عن الحقيقة التي تُقَوِّم انحراف هذا الواقع .

روزبة : على هذا نلتقي .. وفي اعتقادي أن الحقيقة لا تفارق
تعاليم ماني ..

بودخشان: أوه !.. ذلك اغراق في الأنانية ، والا فكيف انحصر
ذلك الفهم بك دون سواك !

فروزون : وهذا ما يدهشني ... الا أن يكون الوحي قد نزل
عليه كما نزل على ماني !.

روزبة : سخرك يا فروزون لن يُغَيِّر الواقع .. ولن يجعلني
استحيي من التوكيد على أن في مذهب ماني الحقيقة
التي تنشدون اذا أنصفتم عقولكم ..

فروزون : دعنا نجرب هذه الحقيقة مرة واحدة .. دلنا عليها بربك..

بودخشان: كلنا آذان.. ولكن لاتنس أن توجز.. وتتحاشى السفسطة..

روزبة : الحقيقة الأولى في مذهب ماني هي حله لمشكلة الخير والشر ... وقد جاءنا بهذا الحل من ثُنائيته المتناهية في البساطة والقوة معاً ..

بودخشان: اذا لم تكن هذه سفسطة فما تكون!

روزبة : بل هي الحقيقة التي تعيشونها أبداً ولا تعترفون بها ..

فروزون : لكي يعلم روزبة أننا غير جاهلين بنحلته دعوني أتمم كلامه .. يريد أن يقول : ان هناك واقعاً أزلياً يتجلى في عالمي النور والظلام ... وإن النور خير الآلهين ... لأنه مصدر الحكمة والمحبة. أما الظلام فهو الاله الشرير الذي لا عمل له سوى عرقلة طريق النور .. أليس هذا ما تريده يا روزبة!.. أتُرانا جاهلين بما تسميه حكمة ماني!...

روزبة : بقي أن تعلم يا فروزون أن المعركة ليست بين النور والظلام فقط. بل ان الناس هم محاربوها . بعضهم تحت لواء **(يزدان)** والآخرون تحت لواء **(أهرمن)**.. ولن يكون في الأرض سلام حتى تنتصر جبهة النور ....

بودخشان: لقد أثقلت مزاحك الليلة يا روزبة .. وإلا فكيف تريد لأنصار النور أن يفوزوا في هذه المعركة بعد أن رأوا فرار الاله **(يزدان)** أمام خصمه الجبار!

فروزون : ان الناس في شوق لمعرفة الوسائل التي اخترعها نبيك لتحقيق هذا الانتصار ، بعد أن تخلّى إلهه عن عباده ، ليستأنفوا وحدهم هذا الصراع اليائس !..

روزبة : قليلاً من الصبر والفكر ... ان ماني لم يترك المشكلة بغير حل .. فقد قرر أن الخلاص لن يكون إلاّ بالقضاء على الحياة ، وذلك عن طريق الترهب . الذي سيتيح للناس مَعاداً سعيداً يمحو ظلمات الشقاء بألطف الوسائل ..

(ضجة)

بودخشان: بئس الدواء ! . ان صاحبك يعالج الرأس الموجع بقطعه !

فروزون : لا أحسب أحداً يرضى بحرمان نفسه من متعة الزوجية الا أنت وجمشيد ... !

برفين : هل يريد سيدي شيئاً ؟

بودخشان: أراك عجلت بالعودة ... أنام مابه ؟...

برفين : نـ ... نـ ... نعم .. نام ...

فروزون : ليسمح لي فخامة الدهقان أن أسأل برفين : هل يرضى فلسفة روزبة بالقضاء على الحياة ...؟

برفين : نحن العَبيد .. لا نعرف ما معنى الحياة ...

بودخشان: دعه من سخرك يا فروزون ... فليس للأرقاء شأن في مجالس السادة .. ابق خارجاً يا برفين حتى ندعوك ..

(يخرج برفين)

فروزون : إذاً فلنسأل الخطيب روزبة عما يريد ماني أن نعمله قبل الحصول على نهاية الحياة ! ...

بودخشان: حقاً .. سؤال معقول ..

روزبة : تتوجهون بعبادتكم إلى الالآه الرحيم.. وتصلحون ما بينكم وبين اخوانكم من البشر ، على أساس من الوحدة التي لا تعترف بأي فضل لفارسي على غيره ..

بودخشان: كفى .. كفى ... لو لم يكن في تعاليم ماني سوى هذه المساواة الكريهة لوجب على كل فارسي أن يحاربها كما يحارب الوباء !..

فروزون : احتفظْ بي في صفّك يا دهقانَ جيّ الحكيم ...

بودخشان: وليس هذا كل سيئات ماني ، بل انه ليريد منا أن نؤمن بمسيح الروم ، ثم لا يكتفي حتى يدعونا الى الايمان بنبي من العرب يسميه خاتم النبيين !..

فروزون : ما أحسب في الأرض هواناً فوق هذا !..

روزبة : لا أستغرب تعصبكم لأوهام الكبرياء... انها تركة أجيال لا تُمحى بكلمة ..... أما أنا فقد تحررت من ذلك .. وآمنت بوحدة الانسانية .وأيقنت أن الله أرحم من أن يدعها الى الأبد لأكف المضلّلين والظالمين ..وما أرى الا أن فجر الحرية قد أوشك أن يشرق ...

بودخشان: دعه يشرق من كل مكان الا من أرض العرب ...

فروزون : وأي فجر سيشرق من أرض الذئاب واليرابيع والضباب !...

روزبة : إنه الفجر الذي سيكتسح ظلام الدنيا كلها ... الفجر الذي رأيتم نُذُرَه ذات يوم في تصدع إيوان كسرى وجفاف بحيرة ساوة ، وانطفاء النيران المقدسة !... لقد وقفتم يومئذ حيارى أمام هذه الظواهر .. أما أنا فلا أحسبها الا اشارات السماء تهز ضمائر الغافلين ، استعداداً للحدث الهائل الذي سيقلب عما قريب أوضاع الناس جميعاً ..

بودخشان: (**مقهقهاً**) هنيئاً لك أحلامك الشعرية يا صديقي روزبة !.

فروزون : حقاً انها لأحلام سعيدة .. جديرة بالقبول عند جميع الأطفال !

(ضحك .. وتصفيق .. وهمهمات)

المشهد الثاني

مسرح العمل : حجرة نوم مابه . بيت النار . الطريق بينهما .
قصر بودخشان . طريق الحقول ..

الأشخاص : مابه . أبوه الدهقان . كهنة النار . برفين . المهندس
جهان . وكيل الدهقان ...

(أقدام الخدم في الممر .. وأصوات الديكة ..
وكذلك صهيل الخيل من ساحة الاسطبل ..)

مابه : **(متقلباً على السرير .. يرسل زفرات طويلة ..)**
ما أطولك أيها الليل ... وما أبعد صباحك !.. كل
شيء قد عاد الى اليقظة بعد نوم طويل مريح الا
أنا ... لم أنم قط ... !
ويحك يا روزبة !... لقد حطمت هناءتي ، وسلبتني
شعور الرضى بواقعي !... فما أدري ... أألعنك
أم أشكرك !! لقد فتحتَ عينيَّ على عالم ما كان

لي به من عهد .. عالم لا سلطان فيه لمزدك . ولا
للنار ، ولا للكهنة ! .. أسلمتني إلى شك عميق مخيف ..
ولكنك لم تستطع هدايتي الى الطريق الآمن .

(طرْقٌ على الباب ... ثم يفتح ويدخل برفين)

برفين : طاب نومك .. يا سيدي الصغير ...

مـــابه : هيهات .. بل ساء نومي يا برفين ...

برفين : يبدو لي أنك لم تذق هجوعاً قط ! ...

مـــابه : هذا هو الواقع ...

برفين : وهذا ما خفته عليك ... ألم أقل لك دع ثرثرات القوم وامضِ الى حجرتك . فأبيت الا أن تظل في الدهليز لتستمع اليهم ... !

مـــابه : لم أترك ذلك المخبأ حتى آخر كلمة .. من مناظرتهم الطويلة ...

برفين : ثم قضيت ليلتك تفكر فيما سمعت ... أليس كذلك؟ ..

مـــابه : حقاً ... وإني والنارِ لا أعلم أهي ثرثرات فارغة كما تقول . أم هي حقائق تستحق كل هذا القلق ! .

برفين : قلت لك انها لغو تافه ... ما زلت أطعمه منذ سنين .. وحتى الآن لم أجد له مُحَصَّلاً .

مـــابه : ليتني إذاً لم أسمع شيئاً ... آه .... لقد وضعتْني ثرثرة روزبة أمام تركيب جديد لعقيدة لا أعرف كيف أفهمها ... عقيدة الايمان بالآهين متحاربين متناقضين ... ثم ماذا ؟ .. مسيح مـــن الروم .

ورسول من العرب ... وأخوة بين الناس ... كل الناس !...
ان هذه الأشياء غريبة ... غريبة يا برفين حتى لا يستوعبها ادراكي الفطير !..

برفين : أما أنا فلم أسمح لهذه الغرائب بالتسلل الى رأسي قط .. ولو فعلت مثلي لاسترحت .... أنصحك أن تفعل ..

مــابه : هيهات !.. انك لتهزأ من كل شيء ... ولا تبالي بشيء ..

برفين : ذلك لأن التفكير بالأشياء المثالية لا يزيد العبيد الا شقاءً على شقائهم . ولهذا آليت ألا أفكر بشيء..

(وقع أقدام في الممر ... ثم طرق على الباب)

برفين : احفظ لسانك ... لا شك أنه والدك ...

(يفتح الباب ويدخل الدهقان ..)

بودخشان: صباح سعيد أيها الحبيب مابه ..

مــابه : صباح أسعد لسيدي الوالد الجليل .

بودخشان: (**يُقبّل مابه**) يبدو لي أنك تأخرت عن موعدك اليومي !..

مــابه : قليلاً .... ولكن لا يزال في الوقت فسحة ..

بودخشان: فلتسرع اذاً يا بني .. الكهنةُ بانتظارك دون ريب ، ونوبتك في خدمة النار المقدسة توجب أن تنتظرها هناك .. برفين !... ساعدْ سيدك في ارتداء ملابسه

الدينية ..

برفين هيا يا سيدي ..

(حركة ووقع خطى .. ثم يغلق الباب . وتستمر حركة الأقدام)

مـــابه : **(في الطريق الى بيت النار ..)** مسيح من الروم !.. نبي من العرب !!.. أخوة بين الناس !.. روزبه!. لقد حملتني ما لا طاقة لي به من أفكارك العجيبة !..

(يطرق باب البيت المقدس .. ثم يفتح ...)

صوت الكاهن : أدخـــل ...

مـــابه : تحيات النار المقدسة الى سدنتها المُوَقَّرين ..

كبير الكهنة: ولكاهنها الصغير مثلُ ذلك .

كاهن : أقلقَنا تأخرُك حتى خشينا أن يكون قد حدث لك شيء ..

مـــابه : حدث شيء !... لا أدري ... أعني ... لا شيء .. ألم تحن نوبتي !

الكاهن : انها الآن ... وها هوذا الحطب المطهَّر قد أعددناه، وبالنفط المقدس نضحناه ، فما عليك الا أن تحمله الى المحراب الأعلى ، لتقدمه الى المعبود الأعظم مع أحر الابتهالات ..

مـــابه : حسناً .. ومع رجاء البركة للكهنة الموقَّرين ...

(يحمل الحطب .. تسمع قعقعة .. وصوت مابه المجهود). إمْ ... مْ .... مْ ....

(ووقع أقدام مـــابه في طريقه الى الأتُون ..)

مـــابه : **(للوقاد ..)** تحيات مزدك وبركاته لخادم البيت الأقدس ...

الوقاد : وللوافد الماجد مثل ذلك ...

مـــابه : هل تُسعدني بتسليم نوبتي ؟

الوقاد : حباً وكرامة ...

(حركة مابه وهو يضع الحطب ، ويحل مكان الوقـــاد ...)

الوقاد : أتمنى لك فرصة سعيدة ...

مـــابه : في أمان مزدك والنار ...

(وقع خطوات الوقاد وهو خارج .. ثم صوت التهاب الحطب)

مـــابه : **(في همس حاذر وهو يلقم النار كسر الحطب فيسمع وقعها وتأججها)** :أيتها النار !.. أين تلك الرؤى التي كنت تخيلينها إليَّ من قبل !.. أأنت تغيرت أم أنا ؟... ما أراك الا كأي نار أخرى في حاجة الى كل كسرة من الحطب لتستمري في التهابك فأين ... أين ما يزعمه لك الكهنة من أسرار ؟ وهل صحيح أن الناس قد سمعوا يوماً كلامك في تأييد مزدك !.... انني لفي حيرة من أمرك وأمري ... ان هاتفاً من الأعماق يدعوني لأكفر بك ... وأبصق في وجهك .... ولكن ... ولكنَّ شيئاً خفياً يمسكني

فما أدري أيَّ الداعيين أجيب !...

(أنفاس مابه .. وأزيز الضرام المستعر .. ووقع أقدام في الخارج ...)

مـــابه : هيَ ذي خطوات الكاهن التالي قادماً لتسلُّم نوبته ..

الكاهن : **(يدخل على مابه)** باركتِ النار عملك أيها الكاهن المزدكي الضعير ....

مـــابه : وتقبلت خدمتك أيها الوافد الكريم ...

الكاهن : هل تشرفني بتسليم نوبتي !...

مـــابه هي لك .. فتولها في رعاية مزدك ...

(حركة الكاهـــن يضع الحطب ... ويتسلم مكان مابه ..)

مـــابه : **(وهو خارج ..)** أتمنى لك فرصة سعيدة ..

الكاهن : في أمان مزدك والنار ...

(مابه في طريقه الى الدار .. أقدام المارة وتحيات توجه اليه ..)

صوت : تحيات النار ...

صوت آخر : تجليات مزدك ....

صوت ثالث : ليحتضنك زرادشت أيها الكاهن الصغير ...

مـــابه **(في نبرة جافة تنم عن استغراقه في تأملاته)** : ولك. واياك ... وليباركك ..

(يناجي نفسه في خفوت)—شَدَّ ما تغير شعوري بهؤلاء الناس.. مساكين ! .. انهم يسعون بنذورهم

الى البيت المقدّس ليتلقوا بركاتِ كهنته .. ولو علموا ما أعلم لفقدوا راحة نفوسهم ... آه .. ما أسعدهم بجهلهم !.. وما أشقاني بحيرتي !!!...

(وقع الخطى ...)

إيه .. أحقٌ ما قاله روزبة !.. أن فارس لن تجد خلاصها إلاّ على يد يزدان !!!.. ولكن ... مع احترامي الشديد لهذا الالٓه الطيب ، لا أستطيع تجاهل سخفِه وضعفه ؟.. وهل أحقر من منظره فارّاً أمام خصمه الشرير ، ليترك أنصاره من البشر وحدهم في كفاحه !.. ومع ذلك يطلب منهم أن يقهروه دون أن ينفعهم هو بشيء ...!

لا ... لا .. أنا لا أستطيع الايمان بربٍّ كهذا ..

(أقدام تقترب من مـــابه ..)

برفين : لسيدي أسعد صباح ...

مـــابه : ولك أيها المخلص برفين ...

برفين : ان سيدي بودخشان في انتظارك عند البناء الجديد ..

مـــابه : اسبقني اليه وأخبره أني وراءك ..

(خطى في الطريق الى حيث الدهقان ... ثم ضجة البنائين .. وأصوات نحت .. وعمل ...)

مـــابه : تحية السماء الى السيد الوالد ...

بودخشان: مرحباً بالحبيب مابه... **(ثم يوجه كلامه الى البنائين)**

انتبه جيداً يا أوسطة جهان .. ان الحنايا أبرز ما في البناء فلتكن موضع عنايتك ...

جهان : ماكنت بحاجة الى تنبيه ، وقد جربتني عشرات المرات ..

بودخشان: أنت موضع الثقة يا أوسطة جهان ...
(ويلتفت الى مابه) – أي بني .. أنت ترى أن العمل هنا على أشده . وليس في وسعي أن أتخلى عن مراقبته لحظة .. فهل لك أن تنوب عني اليوم في مراقبة أعمال الفلاحين في الضيعة ..؟ ان الجو منعش جميل ، والرحلة الى الضيعة نزهة ممتعة ، فاركب جوادك ، وسر على بركة مزدك ..

مـــابه : يسعدني أن أحقق رغبة سيدي .. **(يُقبّل يد والده ..)**

بودخشان: **(يقبّل مابه)** – لا تتأخرْ عودتك عن أصيـــل اليوم .. فان أي تأخر منك يهمني أكثر من الضيعة ، ويشغلني عن كل شيء ...

مـــابه : لن يؤخرني عنك شيء اذا استطعت ...

بودخشان: ليحفظك مزدك ، وليرعَك زرادشت أيها الفارس الصغير ...

(حفيف السنابل وأوراق الشجر .. وأصوات الطيور المختلفة ... ووقع حوافر الجواد ..)

أصوات الفلاحين : **(في نغم حزين لاهث)** أيتها المعاول ..

احفري عميقاً في أحشاء أمنا الأرض ... واهمسي
في سمعها : يا ليتنا بعض شجرك الوارف ، وأعشابك
الناضرة ... وجداولك المغردة الى الابد... أيتها
المعاول ....

صوت قاس : أيها العبيد المناكيد !... لماذا تتباطئون ، وقد
أوشكت الشمس أن تسكب حممها اللاذعة اللاهبة !
إنشطوا واعملوا ... والا فستلهب ظهوركم السياط.

(ضربات المعاول تشتد ...)

مـــابه : **(مخاطباً الفلاحين)** العافية لكم أيها الكادحون !.

أصوات : ولك .... أيها الفارس الجميل ..

(متهامسين فيما بينهم) — انه مابه ابن دهقان جيّ.
انه الكاهن الصغير المنذور لخدمة النار ...
لم نَرَهُ قبل اليوم خارجاً وحده !..

مـــابه : **(الى الوكيل)** وأنت يا وكيلنا الطيب الصارم .. ألم
يأْن لظهور المساكين أن تستريح من سياطك!..

الوكيل : انها ظهور صلبة ألِفَت السوط فلا تنحني إلا له ...

مـــابه : لماذا لا تجعلها تألف الكلمة الطيبة !...

الوكيل : لأننا لا نستطيع إعطاءها حق غيرها ... والا فما
الفرق بين الشرفاء والأجراء !..

مـــابه : هذه مقاييس أصبحتْ ضيقَ الصدر بها ...

مـــابه : ولكن والدك العظيم لا يرضى أن نتساهل فيها أبداً ..

مـــابه : آه ... حقاً .... ان والدي شديد الحرص على تقاليد

فارس ... ولكن ... أحسبه لا يسره أن تلهب ظهور عماله بالسوط .....
سأواصل طريقي لأطل على بعض المزارع الأخرى. وداعاً ..

الوكيل : في رعاية السماء

الفلاحون : لتحفظك السماء أيها السيد الكريم ...

(وقع حوافر الجواد)

مـــابه : **(يناجي نفسه)** يا سهول أصبهان وجيّ!.. ما أوفر جمالك وما أروعه !.. ولكن ما أوجع الخواطر التي تثيرها مرئياتك في أعماق روحي منذ اليوم !....
كنت لا أفقه من أمرك الا هذه الروائع .. أما اليوم فأنا لا أرى في مظاهرك الا صور الشقاء الذي يعانيه المعذبون ، وهم يُذيبون حياتهم بين ذراتك ، دون أن ينالوا من جهودهم سوى القوت الذي لا يسد جوعاً !...
إيه !... ما أشقاني برؤيتك هذا الصباح ... وما كان أسعدني بها من قبل !...

(أنفاس الجواد ووقع حوافره ...)

واأسفاه !.. لقد سلبتْني فلسفةُ روزبةَ جهالتي التي كنت بها هانئاً ، ولم تعطني شيئاً سوى القلق !.. أي روزبة !... ما أدري، وحقِ السماء ... أأشكرك أم ألعنك !!.....

المشهد الثالث

مسرح العمل : الكنيسية .. الطريق الى جَيّ .. غرفة السجن ..
الأشخاص : مابه . القس والمصلون .. برفين . الدهقان ...

كانت موجات النسيم الرهو تتناقل وقع حوافر الجواد ، وتحمل أصوات بعض الطيور عائدة الى أعشاشها ... وكانت أشعة الأصيل تنشر ضياءها الذهبي على ضواحي جي . عندما لاح لعيني مابه ، وهو في الطريق الى أبيه . ذلك البناء الأبيض المنعزل تعانقه الصخور الحمر . كأنه الرضيع في حجر أمه .. وبدافع من حب المجهول صرف الغلام رأس جواده الى طريق البناء ..

(أصوات تراتيل دينية تتهاوى من بعيد .)

مـــابه : يا للسماء .. ما أروع هذه الألحان !.. انها كهدهدة الأم تهز مهد رضيعها .. لماذا لاأستكشف مصدرها ؟.

ان ذلك لا يكلفني إلا مجهوداً يسيراً .. والوقت لا يزال أمامي فسيحاً ...

(يرتفع وقع حوافر الجواد .. ممتزجة بالتراتيل الوافدة من بعيد .. ثم يتقدم نحو البناء في خطوات هادئة..)

مــابه : (**هامساً**) انه معبد ... لا شك في ذلك ... وها هم أولاء المصلون ينتشرون هنا وهناك ... كلهم مكب على أوراق في يده يقرأ في خشوع ...

(يتابع مابه سيره داخل الكنيسة ، ووقــع خطاه عــلى البلاط يمتزج بألحــان المصلين التي تأخذ في الارتفاع ..)

المرتلون : « .... طوبى للمساكين بالروح .. فان لهم ملكوت السموات . طوبى للوُدَعاء فانهم يرثون الأرض . طوبى للحَزانى فانهم يُعَزَّون . طوبى للجيــاع والعطاش الى البرّ فانهم يشبعون . طوبى للرحماء فانهم يُرحمون . طوبى للأنقياء القلوبِ فانهــم يعاينون الله .... »

(ويتقدم مابه كالمسحور حتى ينتهي الى الكاهن الذي يقود تراتيل المصلين .. وهناك يخر جاثياً .. ويستمر كذلك في خشوع حتى تختتم الصلاة ..)

القس : يلوح لي أن زائرنا أحد أبناء الدهاقين المعظَّمين ... فمرحباً بك ..

مــابه : وتحية لك أيها الشيخ الوقور ...

القس : لعلك رضيت عما رأيت ؟

مـــابه : جداً يا سيدي... انها لصلاة مؤثرة ، لم أفهم منها شيئاً ، ولكني شعرت أنها تسمو بالنفس الى آفاق سعيدة ...

القس : يسرنا أن تستشعر ذلك يا زائرنـــا المجيد ... ولا عجب .. انها زفرات القلوب المؤمنة تناجي خالقها الرحيم ...

مـــابه : هذه معان لم اعثر بمثلها الا عندكم . وانها لتعمل في كياني عمل الحياة في القلوب الظمأى الى الحياة !.

القس : يدرك ذلك أصحاب القلوب الحية يا بني ... وقليل ما هم ..

مـــابه : هل لسيدي الشيخ أن يُطلعني على أصول هذا الدين لازداد به علماً !...

القس : سأوجز لك ديننا في كلمات يسيرة ــ انه الايمان بالله خالقاً رحيماً لا شريك له في ملكـــه ، ولا معبود سواه .. ثم الايمان بالقيامـــة بعد الموت ، حيث يحاسب كل امرىء بما كسب . وتمام هذا الدين أن تؤمن بالمسيح ...

مـــابه : حسن.. أما الله فقد آمنت به ، فما كان لهذه الكائنات أن توجد الا بقدرة صانع حكيم .. وأما القيامة فحق لا بد منه لانصاف المظلومين ، الذين حُرمـــوا الانصاف في هذا العالم ، ولاستمرار الانسانية في

حياة دائمه لا يعتريها فناء .. ولكن ... المسيح ...
ما المسيح ؟...

القس : المسيح هو الابن المختار لله وكلمتُه، تجسدت بشراً لهداية الضالين والخلاص المعذبين ...

مـــابه : الابن المختار لله ! !.. هذا شيء يتجاوز مستوى إدراكي ، ومع ذلك فان الذي فقهته من دينكم أرضى نفسي ، وأقنعني بأنه خير مما كنت عليه .. فهل لك يا أبت أن تزيدني رشداً فتدلني على أصله؟. أين أجد أصل هذا الدين؟...

القس : أصل هذا الدين في الشام ...

مـــابه : وكيف وصل اليكم هنا ؟...

القس : نحن الذين حملناه من الشام .. لقد هجرنا وطننا الى هذه البلاد فراراً من اضطهاد الرومان الذين يريدون تحويلنا عن عقيدتنا المستقيمة في المسيح ..

مـــابه : لعل الرومان مثلنا يعبدون النار !..

القس : بل هم مسيحيون ...

مـــابه : وكيف إذاً يختلفون معكم على المسيح ...؟

القس : المسيحيون كلهم سواء في الايمان بالمسيح يا بني .. ولكن اختلافهم على طبيعته ...

مـــابه : على طبيعته !..

القس : أجل ... فبعضُهم لا يراه غير رسولٍ بعثــه الله لتجديد دينه ... وآخرون ، ونحن منهم ، يؤمنون

بأنه انسان من ناحية ، وإلآه من ناحية... وعلى صعيد هذا الخلاف سالت الدماء . وتساقط الشهداء .. وكانت هجرتنا الى فارس ..

مــابه : ليتك أعفيتني يا أبت من أنباء هذا الاختلاف . فقد ضاعفتَ به ارتباكي !..

القس : ولكن علمك به سيضع في يدك سلاحاً .. تدفع به ما قد يواجهك من مخادعات المنحرفين ...

مــابه : آه !.. يبدو أنني تأخرت كثيراً .. وعليّ أن أسرع إلى والدي الذي سيقلق كثيراً ... دعني أقبلْ يدَك أيها الشيخ الوقور (**يقبّل يده ..**) أرجو أن أتمكن من زيارتك في مناسبات أخرى..... أستودعكم الله .

القس : ليباركك الله ...

أصوات : في حفظ الله ....

(وقع اقدام باتجاه الخارج ... الجواد يصهل ... مابه يمتطيه .. وينطلق في بعض السرعة .)

(وقع الحوافر ولهاث الحصان ..)

مــابه : **(في الطريق .. مناجياً نفسه)** : وهكذا تتابع المفاجآت مثيرة محيِّرة ... كأن وراءها يداً خفية تحركها وتوقتها لتسوقني اليها ، او تسوقها الي !... يخيل الي انني الآن فقط بدأت السير في الطريق الصحيح ... ولكن هناك مشكلة ... مشكلة جديدة. مشكلة الاختلاف حول الطبيعتين .. ان عقلي ليعجز

عن مواجهتها ، كما عجز من قبل عن مواجهة
المشكلة الاخرى .. مشكلة الإلهين المتحاربين !...
يبدو أن الإشكال شيء ملازم لطبيعة الحياة ..
فلأتلقه بصبر .. ولأنظر دائماً الى الجانب المطمئن..
ريثما يصلح تفكيري لتحليل المعضلات الكبيرة ...

(نهيق حمار قريب ... يتبعه وقع حوافر ...)

برفين : حيّتك النار يا سيدي مابه ...

مـابه : آه ... مَن ؟.. برفين ؟!.. لك التحية ... لقد
انتزعتني من غمرة التأملات ...

برفين : انت تتأمل ونحن نتألم !... منذ وقت غير قليل
أفتش عنك ... ان سيدي بودخشان على مثل النار
قلقاً عليك ..

مـابه : حقاً لقد أزعجت والدي ... ولكنه القدَر يا برفين.
ألا تؤمن بالقدر !..

برفين : وهل وجودي سوى تعبير صريح عن هذا القدَر
العجيب !.. ولكن ما شأن القدر في تأخيرك ؟..

مـابه : لقد أخذ بزمامي الى غير ما قصدت .. ولو كان امري
الى نفسي لكنت الآن في فراشي ...

برفين : يبدو انك تركت الطريق المألوف الى جهة أخرى ..
فقد نهكْتُ حماري ذهاباً وإياباً دون أن أعثر
لك على أثر !..

مـابه : هو كذلك ... لقد ساقتني يد خفية الى هناك ... الى

ذلك السفح .. الى الكنيسة .

برفين : الكنيسة !..

مـــابه : اجل ... وسأحدثك بخبر ما شهدت ، وما سمعت هناك ... فأنت يا برفين أقرب الناس إلي ، وليس في وسعي ان اكتم عنك سراً ...

برفين : ستحدثني بما تريد عندما تستقر في فراشك ... أما الآن فعلينا ان نسابق الظلام الى أبيك ....

(يرتفع خفق الحوافر ... ولهاث الدابتين ...)

برفين : هل ترى !.. يلوح لي انه والدك قائماً على مدخـــل جيّ يتطلع الينا ...

مـــابه : انه هو ... هو يا برفين !...

بودخشان: **(من بعيد وبصوت مرتفع)** برفين !..

برفين : سيدي .....

بودخشان: مابه !..

مـــابه : أبت !... **(وينزل مع برفين عن ظهريهما ... ويتقدم نحو أبيه يقبل يده)**

بودخشان: إمض بالدابتين الى الإسطبل يا برفين .. ودعنا نمش الى القصر ...

(حركة الدابتين مع برفين وهو يبتعد بهما .. ثم وقع خطوات الرجل وابنه)

بودخشان: أيْ بني .. أين كنت ؟.. أوَلَمْ أعهد اليك ان تعود قبل الغروب !..

مـــابه : يا أبت !. مررت بأناس يصلون في كنيسة لهـــم فأعجبني ما رأيت من دينهم. فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس ...

بو دخشان: أناس يصلون في الكنيسة ؟!.. أي بني !... ليس في ذلك خير .. دينك ودين آبائك خير منه ..

مـــابه : **(في خفوت)** كلا .. والله انه لخير من ديننا ...

بودخشان: **(يردد على نفسه في همس وهو متجه مع ابنه نحو مدخل القصر) : خير من ديننا ! ..**

الخدم : عودة سعيدة ايها السيد الصغير ...

مـــابه : شكراً .. شكراً ...

بو دخشان: انصرفوا الى أعمالكم ...

(في خشونة تدل على انزعاج ... ويقف تلقاء احد الابواب ثم يفتحه وهو يقول لولده) :

لا جَرَمَ انك في حاجة الى الراحة ... فهلمَّ الى حجرتك ...

(ويدخلان الحجرة ..)

بو دخشان: **(في صوت متهدج)** أيها الولد الزائغ !.. ستكون هذه الحجرة قبراً لك منذ اليوم ...

(ويخرج مقفلاً وراءه الباب)

مـــابه : أبت !... **(ويسقط على السرير ..)**

بودخشان: **(في الممر)** برفين !..

برفين : سيدي .. **(ويسرع الخطا نحوه ...)**

بودخشان: اسمع برفين ... ان مابه قد بدأ ينحرف .. لذلك لا بد من الحَجْر عليه حتى يثوب الى رشده .. فعليك تقييد قدميه بواحدة من سلاسل الخيل .. وستتولى أنت مراقبته وتنفيذ أوامري بشأنه ..

برفين : سمعاً وطاعة ...

(يفتح الغرفة ثم يدخل حاملاً السلسله.. بينمـا خطوات الدهقان تقرع الارض في الاتجاه المعاكس)

يؤسفني ان أتولى انا تقييدك يا سيدي.... ولكنه امر ابيك ولا مفر من تنفيذه ...

(ويلقي بالقيد على الارض، ثم يعالج وضعه في قدميْ مابه ..)

مـابه : ويحك يا برفين .... ماكنت أتوقع السوء على يديك

برفين : وجه لومك يا سيدي الى النظام الذي سلبني حق الاختيار ... إن العبيد لا يُسألون عما يفعلون ..

مـابه : كلانا مظلوم يا برفين ... ولكن قل لي : هل اقترفت جريمة ؟!

برفين : كل فكرة جديدة هي جريمة هنا ... ألا تعلم ؟!

مـابه : أهكذا أفقد كل رحمة بسبب كلمة ! !...

برفين : الكلمة تكلف الانسان حياته ...

مـابه : حقاً .. ولكن ... برفين !.. أأنت أيضاً عليّ ؟!

برفين : دعني يا سيدي من هذا الإحراج ..

مـابه : ستبلغ المحنة ذروتها اذا فقدت حبك يا برفين ...

برفين (يرسل زفرة طويلة) ولكنك ... لن تخسره...
(وينسحب برفين مغلقاً الباب ... ثم يرتفع خفق خطواته في الممر ..)

مـــابه : (يلقي بنفسه على السرير .. ولقيده صليل ..) :
يا إلٓه الأرض والسماء .. ثبت عزيمتي... وآنس برحمتك وحشتي ....

المشهد الرابع

مسرح العمل: غرفة السجن . الطريق الى القافلة .. ثم إلى الشام ..
الأشخاص : مابه . برفين . رجـــال القافلـــة العربية . مالك والشيخ ...

(آهات حزينة ... يمازجها صليل السلاسل ..)

مـــابه : **(يناجي نفسه ..)** : ها هي ذي الأيام تتتابع على ثقيلة كأنها الظلام الحالك .. لا يلوح خلاله ضياء .. ولا أنيس لي سوى صليل هذه السلاسل ...
شيء جديد تعلمته في هذا السجن ، هو أن الحقيقة أخطر الأشياء وأغلاها ... وهي من أجـــل ذلك تستحق التضحية حتى بالحرية ... الآن بدأت أدرك لماذا كان شهداء المسيحية يقدمون أنفسهم مبتسمين لأنياب الوحوش .. وحراب القتلة ...
من السعادة أن يشعر صاحب العقيدة بأنه مدعو

لتعميدها بدمائه ... والا فما قيمة العقيدة اذا لم يُفدِّها المؤمن بكل عزيز !...

آه ... ما أشد عطشي الى نفحة من أرواح الشهداء .
ما أسعدني اذا كان في هذا العذاب ما يقربني خطوة الى الله !.. ولكن ... الى متى تحول هذه السلاسل بيني وبين مواصلة الطريق !!...

(أقدام في الممر ...)

ما أحسبه الا والدي قد أقبل يساومني على ضميري!
آه ... الى متى يستمر في هذه المحاولة العقيم !.. ألم يأنِ له أن يعلم أن الترويع والحرمان أرخص ثمن للحقيقة !...

لقد صارحته بكل شيء ... قلت له : ان مقام الأبوة فوق النفس ، غير أن مقام الحقيقة فوق الأبوة .. ولكنه يأبى الا أن يفرض سلطانه على ضميري ... وهو المكان الوحيد الذي لا سلطان فيه لغير الله !..

(الخطى تبتعد ... حتى ينقطع صوتها ..)

يبدو أن كل شيء قد جعل يخونني حتى سمعي !.. يُخَيَّل الي أن خطى تتحرك في الممر .. ولا شيء هناك ... ولكنه الوهم الذي يولده الظلام هو الذي يصور لي ما لا وجود له .. حتى متى أظل أسير هذا الوهم !.. وفي هذه الحجرة التي باتت أبغض الأمكنة الى نفسي !... لا سبيل الى مغادرة هذا السجـــن

الرهيب الا عن طريق برفين ، وقد كان أملي بـه كبيراً ، وبخاصة بعد الوعد الذي قطعه لي بأنه لن يتخلى عني ..

ولكن واأسفاه !.. لقد تناسى برفين وعده ، ولم أجد منه حتى الساعة أيّ دليل على أنه بجانبي ..

أجل .. لقد أعفاني من لحوم المزدكية التي بت أستقذرُها .. ولكن ما قيمةُ ذلك بعد أن أصبح الطعام آخرَ ما أفكر به !..

انه ليُبدي لي من القسوة أحياناً ما يجعلني أشك في أنه هو الذي عرفتُه أحنى الناسِ علي !...

ولكن مع ذلك .. عليَّ ألاَّ أيْأس .. ما دمت واثقاً من رحمة الله .. وما أحوجني الآن الى الثقة المطلقة بتلك الحكمة التي علمني اياها القسُّ الوقـور : «كلُّ الأمور تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ... »

(خطا تقرّب ... ثم مفتاح يتحرك في القفل ... ويدخل الدهقان وبرفين .)

بودخشان: ويحَكَ يا مابه !.. لقد أوشكتَ أن تقضيَ على نفسك بسوء تصرفك ...

مـابه : انها ارادة الله ..

بودخشان: بل هو الوهمُ الذي يزين لك معصيّي ... للمـرة العاشرة أقول لك : يجب أن تُقلعَ عن غرورك أيها الغلامُ المخدوع !.

ماذا ! أتظل معتصماً بالسكوت كلما دعوتك الى الطاعة !..

(برقة) : مابه !.. يا بني الحبيب !.. ارجع الى دين آبائك فانه أحقُ بالاتباع ... وحسبه فضلاً انه من يَنبوع الحكمة الفارسية .. فكيف تستبدل به ديناً غريباً يُسَوّي بين الفارسي وأيِّ مخلوق !..

برفين : أجلْ يا مابه ... انتفع بحكمة والدك ... ان حق الأبوّة يفرض عليك أن تدع كلَّ شيء في سبيل سيدي الدهقان ..

مـــابه : كل شيء !. كل شيء يا برفين ! !..

بودخشان: أجل .. كل شيء .. اذا كان يهمك أن لا تُحرمَ المكانةَ العليا التي سأورثك اياها في المجتمع الفارسي ..

برفين : أجل .. المكانة العليا ... لا تنسَ المكانةَ العليـــا ..

بودخشان: مابه ... تذكر أنك لن تكون دُهْقاناً الا أن تكون مجوسيّاً زرادشتياً مزدكياً ...

مـــابه : يا أبت ... كيف تريدُني أن أرفضَ الحقيقةَ ايثاراً لِمتاع الدنيا ؟.. يا أبت .. ان الحق فوقَ المنافع الزائلة والجاه العابر ... ولأن أُعلّقَ على خشبة شهيداً في سبيل الحق أحبُّ اليَّ وأسعدُ لروحي من أن أتسنّمَ بالباطل أعلى مناصب الأرض ..

بودخشان: أفٍّ لك أيها العاقُّ المسحور !.. أدعوك الى المجد والسؤدد فتأبى الا الضَّعةَ والهوان !.. شَدَّ ما شوّهَ

روزبهُ والقسُّ الشاميُّ عقلَكَ وطمسا بصيرتَكَ!
ان مثلَكَ لا يستحقُّ النورَ والحياة .. فاقبعْ هنا حتى
يوافيك أجلُك ..
(يخرج الدهقان .. وخلفه برفين .. ويغلق الباب .
خطواتهما ترتفع في الممر حتّى تتلاشى ..)

مــابه : **(يناجي نفسه)** : إيييه !.. لكم يُحزنُــني
ضلالُك أيها الوالدُ المسكين !. لقد حبستَ عينيك
في بؤرةِ المنفعة فلا تسمحُ لهما بالنظر الى الأعلى ...
بودي لو أنتشلُكَ من هذه الهاويةِ ولو كلفني ذلك
حياتي .. ولكن ما السبيلُ الى هذه النعمة ، وأنت
الذي سددت دونها بتعصبك لتقاليد أجدادِك كلَّ
سبيل !!
واحسرتاه عليك يا أبت !. انك لَتُؤثرُ التخبطَ
في الظلمة على أن تواجه ضياءَ الحقيقة !.. ومع ذلك
تريدني أن أقتلعَ عيني لألحق بك !.. لا ... لا ...
لن يكونَ هذا أبداً ..
(خطوات خفيفة في الممر تقترب من الباب ..)

مــابه : أوقعَ أقدام أسمع ؟.. أم هي نبضاتُ قلبي تنسابُ
إلى أذني !... أهو أبي عاد ليتابعَ محاولاتهِ اليائسة !
أم هو برفين جاءني كدأبهِ بالخضارِ والفواكه !...
(يتحرك المفتاح في الباب .. ويفتح ، ويدخل برفين
مغلقاً خلفه الباب ..)

برفين : **(هامساً)** : سيدي !..

مــابه : برفين !.. أهذا أنت !...

برفين : انا الآنَ على استعداد لكل ما تريد ..

مــابه : برفين !.. كدت والله أيأسُ من نجدتك ...

برفين : لم يكن بُدٌ مما فعلت .. وقد لبثت أترقب الفرصَ لخدمتك حتى سنحتْ اليوم ..

مــابه : لا أدري ماذا يَجبُ أن أصنع ... فهل لديك خطة!

برفين : كنت على صلة مستمرة بالقس .. وأخبرتُه بأمرك ، وطلبت اليه أن يُعلِمَني اذا قَدِمَ عليه ركب من الشام . وقد جاءني رسوله الساعةَ يُنبئُني أن ثَمَّةَ قافلةً شاميةً عائدةً الليلةَ ..

مــابه : اذن فستُلحِقُني بها ..؟

برفين : حالاً .... دعْني أفكَّ قيودَك أولاً ..

(صليل القيود وهي تُنزع ..)

مــابه : شدَّ ما أثقلتني قيودُك يا برفين !

برفين : لو خففتُها لما وثِق بي والدُك ، ولما استطعتُ أن أنفعَك ..

مــابه : شكراً لحكمتك يا برفين ..

برفين : دعني من شكرك الآن ... واتبعني في حَذَر ...

(ينسلان من الغرفة .. ويقفلها برفين .. ثم يمضيان في خطى خفيفة ..)

برفين : من هنا يا سيدي .. لقد أخليتُ هذا الطريقَ من

الحرس ... اخفضْ رأسَك قليلاً ... التزمْ في سيرِك الجدار ..

مــابه : **(مرتعش الصوت)** : اني خائفٌ يا برفين ... أرى أشباحاً يتحركون هناك ...

برفين : تلك حركةُ الاشجار على ضفة نهر (زَندَروزَ) ..

(حفيفالأوراق في هبوبالنسيم ...أصوات ديكة تتنادى من بعيد .. خرير مياه .. وقع أقدامهمـــا ممتزجاً بذلك كله ..)

برفين : سيدي ... لقد أشرفنا على مكان القافلة الشامية ....

(رُغاء جمال ... ولغط رجال ...)

برفين : ليلة سعيدة أيها الرجال ...

صوت جمّال : ليلك سعيد .... من الرجل ؟

برفين : قل لشيخ القافلة : فتى من جُند يسابورَ يُريــدُ مواجهتَك ..

صوت الشيخ : دَعْهما يا مالك يَمُرَّا اليَّ

(تتجه خطاهما نحو مصدر الصوت ...)

يا مرحباً برسول القُس المحترم ..

برفين : وبك أيها الأبيُّ الكريم ..

الشيخ : لقد ابتثتُ بانتظاركما خشيةَ أن يعترضكما مَن لا يعرف كلمةَ السر ..

برفين : شكراً ... اسمح لي أن أقدمَ لك الفتى الذي أوصاك به القس .. انه هذا واسمه مابه .. وانه في أهلــه

لعزيز ، ولكنه آثر بلادكم ودينكم على نعيم بيته ومجد أهله ...

الشيخ : مرحباً به وأهلاً .. لقد علمنا قصته من القس .. وسيجد لدينا كل رعاية وإكرام ...

برفين : ليس اكرامُ الجار بغريب عن العربي .. ولكني أحببتُ أن أستوثق له ليطمئن قلبي عليه ... أيْ سيدي مابه ... اني مضطر الى تعجُّل فراقك .. فاصبر نفسك ، وليكن معك عونُ السماء ..

مـابه : أتدَعُني الى الأبد يا برفين!.. لماذا لا تبقى معي !... أليس ذلك خيراً لك!..

برفين : ليس لمثلي حق في نفسه .. وبقائي خيرٌ لك ، لأنني سأصرف عنك العيون فتبحثُ عنك في كل مكان الا في هذا الطريق ...

مـابه : جزاك اللهُ عني كل خير ... فمثلُ فضلك لا يُكافئُه الا الله .

برفين : خير ما أتمناه هو أن تحميك السماء من كل مكروه.. فلتكنْ في حراستك .. وأنت أيها العربيُّ الكريم وداعاً وشكراً ..

الشيخ : في رعاية القديسين .. وأنت يا بني .. اخلعْ ثيابك الفارسية ، وتتنكر في هذه الحلة البدوية .

مـابه : فكرةٌ رائعة .. شكراً ..

(خطا .. ورغاء جمال .. وحركة رجال ..)

الشيخ : يا مالك !...

مالك : لَبَّيك ...

الشيخ : هل شددتم الرحالَ جميعاً ؟ ..

مالك : كلُّ شيء على ما يرام ...

الشيخ : لِنمضِ على بركات الله ... فقد انتصف الليل ، وانتشر ضوء القمر ...

مالك : هَيَّا يا فتيانَ تَغْلِب ...

أصوات : هيا .. هيـا ...

(حركة الجمال .. والرجال ..)

صوت حاد : (في مؤخرة القافلة يغني في لحن بدوي) :

أَتَعْجَبُ سَلمى أنْ سرى فشـجاني
هُبوبُ شآمِيّ أطار جَناني !
فمَنْ يكُ لم يَغْرَضْ فاني وناقتي
الى الحيِّ مِن أهلِ الحمى غَرِضان
هَوَى ناقتي خلفي وقُدامِيَ الهوى
وإني وإيـاها لَمختلفـان
تَحِنُّ فتُبدي ما بها من صَبابة
وأُخفي الذي لـولا الأُسى لَقَضّاني

اصوات : مرددة البيت الأخير .. وصوت ناي يُعيد اللحن ..

الشيخ : أيها العزيزُ مابه ... أتُحسُّ حاجةً الى النوم ؟

مـابه : أبداً ... أيها الشيخ النبيل

مـابه : فَلْنتحدثْ إذن .. فان لحديثِ الليل مُتعةً في السفر

لا تُفَوَّت .

مــابه : حقاً ....

الشيخ : قصتُك يا بني هزت نياطَ قلبي ...

مــابه : تلك قصةٌ صَنَعَها القدر ... والشكرُ على كل حال لله الذي سيَّرني الى هذا الخير ...

الشيخ : إني لأتوقَّعُ لك مثلَ مستقبلِ القديسين ...

مــابه : لا أطمع في أكثر من رضوان الله ...

الشيخ : لا شك أن قُسُسَ دمشقَ سيَسعدون بــك .. وستَجدُ لديهم ما يُعوِّضُك عن الأم والأب ..

مــابه : ذلك بعضُ ما أتوقعُه ... ولكن ... اني أُوجسُ خيفةً ... وأتصورُ جنودَ فارسَ وقد أوغــلوا يفتشون عني في كل مكان .

الشيخ : ليطمئنَّ بالُك .. فان لك من هذا الهندامِ البدويِّ ما يصرف عنك كلَّ الظنون .. ومع ذلك فقد قاربنا تخومَ الشام ...

مــابه : لن تهدأَ خواطري حتى أتجاوزَ سلطانَ فارس ..

(حُداء ... وعُواء ذئاب بعيد ..)

مــابه : أيها السيدُ المفضال ... لقد طوقتَ عنقي بمنة لا تُنسى ... فهل لك أن تُتِمَّ فضلَك فتَعِدَني أن تَجمعَني بأُسقُفِ دمشقَ الاكبر ؟...

الشيخ : حبًّا وكرامة .... وذلك ما أوصاني بــه قُسُّ أصبهان.. وهو بعضُ مايجب لك علينا أيها الفتى الصالح..

المشهد الخامس

مسرح العمل : غرفة مابه . الكنيسة . دار الاسقفية .
الاشخاص : مابه . جريج ، خـــادم الأسقف . الأسقف .
جمهور ...

مـــابه : (**مستغرقاً في صلاة ضارعة**) : ... أيها الخالقُ الرحيم .. الذي هجرت من أجله وطني وأهلي ...
لا تَحرمْني لقاء الحقيقةِ التي يتعانقُ فيها العلمُ والعمل ، لتجعلَ من سلوك المؤمنين بها صورةً أصيلة لجمالها الخالد ...
يا إلهي ... إليك أشكو ما وجدتُه في هذا الأسقفِ العجيبِ من التناقض الغريب ... علمٌ كالبحـــر الزاخر ، وبلاغةٌ تستدرُ العبرات ... ولكنه أبعدُ الناس عن الخير الذي يدعو اليه !..

انه ليُحدِّثُ فيأسِر . ويعظ فيسحر .. حتى اذا تلقى هبات الموسرين ليوزعها على المعسرين. عمد الى اكتنازها في الحُفَر . وحرم منها كل بائس ومحروم ....!

أيها الرب العليم الحكيم .. اليك أشكو هذا العبثَ الذي يهدمُ الفضائل . ويحطم ثقةَ عبادك بتعاليمك . فنجنا من الانبياء الكذبة . الذين حذرنا المسيح من الانخداع بأقوالهم . وكشف لنا حقيقتهم اذ قال :

(مِن ثمارهم تعرَفونهم ..)

يا ربَّ العالمين ... وأرحمَ الراحمين ... نجنا من الشريرين آمين .

(خطوات .. ثم يفتح الباب ويدخل جريج مغلقاً إياه)

جريج : **(مردداً)** : نجنا من الشريرين آمين ... **(لمابه)**: يتقبلُ اللهُ صلاتَك وضراعتَك أيها الغارقُ في محبتِه ..

مـــابه : أهذا أنت يا جريج !.. ما أشد حاجتي الى قلبك الحي في هذه الأيام !..

جريج : لعلي أحوج الى حكمتك يامابه ... ولكن كـثرة الواجبات هي التي تُبعد كلاً منا عن الآخر ..

مـــابه : كان من حق هذه الواجبات أن تجمعَ بين العاملين لا أن تفرقَهم .. ولكن يبدو لي أن يداً خفية هي

التي تحدث هذه الفرقة لحاجة في نفسها ..

مـــابه : ما بالُك تقابلُ اشارتي هذه بالصمت المُطْبِق ، كلما أفلتَ بها لساني تحت ضغط الألم ..؟

جريج : انك لتُحرجني بسؤالك ...

مـــابه : يستحيل أن يستمر هذا التكتم طويلاً ... ولا بد أنك تضيق بأسراره كما بدأت أضيق بها ..

جريج : هذا هو الواقع ...

مـــابه : أوليس إذن من الخير أن نتعاونَ على اصلاح الوضع بدلاً من السكوت على مفاسده ؟.

جريج : ولكن ... هل تحسبُ ذلك في امكاننا ؟...

مـــابه : ليس ضرورياً أن ننجح في تحقيق ما نحب ... ولكن كلمة حق نقذف بها وجه الباطل تمنحنا عذراً في عين الـــرب .

جريج : هذا صحيح .. هذا صحيح .. ولكن .. قل لي : ما الذي تنوي عملَه !

مـــابه : أن أكشفَ حقيقةَ هذا القَس الضالّ أمامَ الشعب .

جريج : وهل أنت واثق من أن الشعب سيصدقُك اذا فعلت ؟!

مـــابه : لن أتركَ للناس مجالاً للشك . لأنني سأواجههُمُ بالبرهان العملي مع الاتهام ..

جريج : ولكنّ في هذا خطراً على الدين نفسه .. لانّك بذلك تشجع المنحرفين على الطعن برجال الكنيسة . فتنطلق الألسنُ دونَ تفريقٍ بين الصالح والفاسد ...

مـــابه : أنت على حق ... فماذا ترى اذن ؟ ...

جريج : لقد أدرت الموضوعَ في رأسي طويلاً .. فلم أجدْ له حلاً أفضلَ من الالتجاء الى الله .. أدعوه صباحَ مساءَ أن يُنقذَ كنيسةَ المسيحِ من هذا الأسقفِ الذي لا يرجو وقاراً لله ...

مـــابه : وهذا ما فعلتُه تماماً ...

جريج : لعلك لا تعلم أنه يعاني مرضاً خطيراً منذ أسبوع .. ولعل اللهَ أن يستجيبَ فيه دعاءنا فينقذَ دينَه من شرِّه على خير وجه .

(يرتفع أثناء ذلك رنين أجراس الموت ...)

مـــابه : أتسمع !... انها دقات النعي تنطلقُ مـــن كنيسة الأسقفية ...

جريج : ما أحسبُه الا بشيراً بالفرج ...

(حركة في الخارج ...)

اصوات : (من الخارج ...) مَن الميت ؟....

لا ندري ....

ويحَكم انه الاسقف ...

قَدَّسَ اللهُ روحَه !

يا لَلمصيبة !..

لقد ذهب الموت اذن بآخرِ رجال الله !....

مـــابه : أتسمع يا جريج !... لقد خدَعَهم في حيـــاته وسيزدادون انخداعاً به بعد موته !..

جريج : تلك بساطةُ القلوب المؤمنة .. تظن الخير في كل ذي مظهر من الدين ...

مــابه : لا بد من ذَهابنا الى دار الأسقفية ... وحضــور القُداس الجنائزي .... هيا بنا ..

جريج : هيــا ....

(يخرجان ... يغيب وقع خطواتهما في غمرة الاجراس .. وفي ضجة الناس .. وحركات سيرهم)

صوت : **(يغالب غصة البكاء)** : يا حسرةَ دمشقَ عــلى قـديسها البار ! ...

صوت آخر : **(باكياً)** :هيهاتَ ترى الشامُ مثلَه بعد اليوم !.

صوت آخر :قضى أيامَه صياماً . ولياليه قياما ...

صوت آخر :كانت أكثرُ صلواتـه مع الملائكةِ والقديسين ... ولطالما ظهرت له العذراء ...

صوت آخر :كل ذلك بسبب بِرِّه العجيب على المساكــين والمحرومين ...

مــابه : جريج ... أتسمع !... أليس من الظلم للحقيقة أن تستقرَّ هذه الأوهام في رؤوس هؤلاء الناس !!.

جريج : اضبطْ أعصابَك يا مابه ...

مــابه : أكاد أنفجر يا جريج ... واني لأحس أن استمراري على الكتمان سيجعلني شريكاً في الإثم ..

جريج : لِننسحبْ من الكنيسة اذن ...

مــابه : كلا بل .. لِنبقَ ... ولن أهدأ حتى أدلَّ هؤلاء

المساكينَ على أموالهم .. دعني .. دعني يا جريج ..
أيها الاخوة ... !

أصوات : أنصتوا ....
: مَن الفتى ؟...
: ألا تعرفونه ؟... انه الفارسيُّ الذي هَجَرَ وطنَه في سبيل المسيح ...
: انه تلميذُ الأسقف الراحل ..
: كفوا عن الكلام ... انه يريد تأبينَ أستاذه الفقيد ..

مــابه : أيها الاخوة المؤمنون .. ما ترون في رجل يأمركم بالصدقة ويُرغّبُكم فيها، فاذا جئتموه بها ادّخرها لنفسه . ولم يُعْطِ المساكين منها الا ما يكفي بنظره لتغطية مكره !..

اصوات : لا أكاد أفهم ما يريد ..
: انتظروا حتى يُوضحَ هو ما يريده ..
: عَمَّنْ يتحدثُ يا تُرى ؟..
: لعله يريد أن يضربَ الأمثال .. فلْنستمعْ .

مــابه : ما ترون أيها الاخوة في رجل يأمركم بالصـــدقة ويَحضُّكم عليها . فاذا جئتموه بها حجبها عن المستحقين . واحتفظ بها في أعماق الأرض ؟...

اصوات : انه شرير ..
: ذلك رجلٌ يجب اقصاؤه من حظيرةِ المسيحية ..

مــابه : تعالوا معي أدُلَّكم على هذا الرجل.. تعالوا أُرِكم كنوزَه..

أصوات : هَلُمّوا .. هلموا ..
: يجبُ أن نعرفَ هذا الظالم ...
(ضجة الجمهور وهو خارج وراء مابه ...)
مـــابه : تقدموا أيها الإخوة ... الى هنـــاك ... الى دار الأسقفية ...
(خطوات الجمهور مستمرة ..)
مـــابه : قفوا هنا ... وسترون ما يُدهشُكم ...
(صوت المعول يهوي به مابه على الارض ...)
أصوات : ما هـــذا ؟....
: انها جـــرة ...
: وهذه أخـــرى ...
: وتلك ثالثة ....
: ماذا في هذه الجرار ؟...
مـــابه : أنظروا .. هذه سبعُ جِرارٍ مملوءةٍ ذهباً وفضة ..
أصوات : ولِمَن هذه الكنوز ؟...
: مَن صاحب هذه الجرار؟...
: لا شك أنه شيطان ...
مـــابه : إنه يا إخوتي صاحبُكم الأسقفُ الذي جئتم تكرمون جثمانَه .
أصوات : يا لَلجريمة !.. انها أموالنا التي قدمناها اليه ليصنع بها المَبَرّات ...
: كان علينا أن نعلمَ ذلك من قبل ...

: حقاً .. فما كنا نرى لأموالنا من أثر بين المساكين ..
: لتسكت الأجراس ...
: وليُقذفْ بجثمان السارق خارجَ الكنيسة ...
(وتنقطع الضجة ... ويعقب ذلك لحظة صمت ..)
(ثم تمر الأيام .. ويجتمع القُسُس ، فيختارون)
(أحدهم لمنصب الأسقف ..)

مـابه : **(في حجرته المتواضعة جاثياً)** لك الحمد يا الهي:.. لقد استجبتَ ضراعةَ محبيك. فحنوتَ على كنيستك ، وأبدلتَها بالشر خيراً ، وبالشقاء نعيماً ... فاياك نسألُ أن تحفظَ لنا راعينا الصالحَ الذي أنسانا بكماله نقائصَ سلفه ...

جريج : آمين ... آمين .. استجب يا رب ..

مـابه : جريج.. أشعر بالغبطة تملأ كياني .. ولا أكاد أعلم سبباً لذلك .

جريج : السبب معلوم .. انه الرجل الذي حقق الله بـه أحلامنا .. فكان سلوكُه ترجمةً كاملةً لتعاليم المسيح ..

مـابه : حقاً ... يا جريج .. لقد تجددت حياتي منذ اليوم الذي تولى فيه هذا الأسقف زمامَ الكنيسة .. انني لا أتصور رجلاً أفضل ايماناً وعملاً ، ولا أزهدَ في الدنيا ، ولا أرغبَ في الآخرة منه .. ولكن ...

جريج : وما شأن **(لكن ..)** هذه !

مـابه : ان شيخوختَه الباليةَ تجعله دائم المرض ، وهذا ما يضاعف خوفي عليه ..

جريج : وأنا مثلك .. أخشى عليه الموت .. ولكن لا ننسى أن الموتَ شيء لا يرتبط دائماً بواقع السن .. فقد يُختَطفُ الغلامُ في مَيْعةِ صِباه ، ويُمدُّ في أجل الشيخ حتى يكره الحياة ...!

مـــابه : مهما يكن من شيء فقد صممت على أن أكون له أنزمَ من ظله ، حتى لا تَفوتَني منه كلمةُ خير ...

جريج : ذلك ما أغبطك عليه يا مابه .. فتزودْ من الشيخ ما استطعتَ علماً وحكمة ... فانه والله لَنِعمةٌ مهددة بالزوال ...

(خطا تقترب ...)

مـــابه : جريج .. انه خادم الأسقف .. يُقبِـلُ شاحبَ الوجه .. قلبي يحدثني بسوء يا جريج ..

جريج : لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد ...

الخادم : سلامٌ لكم ...

كلاهما : سلامٌ لك ..

الخادم : (في لهجة حزينة) ان الاسقفَ يريـــد أن يراك يا مابه ...

كلاهما : هل من سوء !

مـــابه : هل يشكو شيئاً !

الخـــادم : انه ... في حالة هبوط تام ...

مـــابه : اللهم رحمتَك ... إيذَنْ لي يا جُريج .. فقد أتأخرُ عنك طويلاً ..

جريج : ليكنِ اللهُ معَك ... وليحفظْ رجله الصالح .

(خطا مابه تبتعد ... ومعه الخادم ...)

مــابه : اللهُ معكَ يا رجلَ اللهِ البارَ ...

الأسقف : **(في همس منهوك)** : أهلاً .. بالابن .. الحبيب.

مــابه : كيف ترى نفسك يا سيدي ؟!

الأسقف : في .. خير ... من الله ...

مــابه : أي سيدي !.. اني كنت معك ، وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فالى من توصي بي ؟.. وبِمَ تأمرني ؟...

الأسقف : أُدنُ مني ... أيْ بُنَيَّ .. واللهِ ما أعلمُ ... اليومَ . أحداً .. على ... ما .. كنتُ عليه .. فقد هلك ال .. ناس .. وبَدَّلوا .. وتركوا أكثرَ ما كانوا عليه.. إلا أسقفَ المَوْصِل .. انه .. على .. ما ... كنت ... عليه ... فالحق به ...

مــابه : سيدي ! .. ويلاه !... انها لَرعشةُ الموت .. ها هو ذا قد همد الجسدُ الطاهر ... ليَرْحمْك الله ... ليرحمك الله .. أيها الراعي الصالح ..

المشهد السادس

مسرح العمل : اسقفية الموصل . الطريق الى نصيبين . نصيبين .
الاشخاص : مابه . أسقف الموصل . خادمه . دليل . أسقف نصيبين . رفاق سفر .

(لم يجد مابه في دمشق ما يستبقيه بعد أستاذه الصالح فاذا هو يلقي بيده الى أول قافلة في طريق الموصل .. وأول شيء فعله لدى وصوله السؤالُ عن مقر أسقفها .. وما إن وقع عليه بصره حتى شعر بالنشوة الروحية تغمر قلبه .. انه أشبه باستاذه الدمشقي الفقيد من الليلة بالبارحة .. ولكنه يا للأسفِ مثلُه أيضاً في نهاية الشيخوخة ! ..)

مـــابه : **(يقبل يد الأسقُف)**.. وهاأنذا قادم من دمشق أحمِل الى قَداستِكم تحياتِ أخيكم الراحل .. وقد

جئت عملاً بإرشاده . وطمعاً في أن ألقى في كنفكم مثل العطف الأبوي الذي سعدتُ به في ظل ذلك الرجل البارّ ...

الأسقف : (في صوت مجهود) رحماتُ الله على ذلك الصالح .. وعلى الرحب والسعة يا بني . واني لأسأل الله أن تجدَني كما وصف . وكما توقعت ....

مابه : (يرسل زفرة طويلة) : ستة أشهر مرّت كالحلم السعيد ... نعمت فيها برعاية القلب الذي ملأه حبُّ الله ... ولم يُنَغِّصْها سوى قلقِ الخوف من زوال هذه النعمة ....

(وتمضي الأيام بهجةً سريعة .. ثم تعقبها أيام قلقة حزينة ... مابه في حجرته المتواضعة ..)

مابه : والآن يتحقق ما توقعت ... ويشتد المرض على الشيخ ... واحسرتاه ! ..

(خطى تقترب ... ويفتح الباب ...)

الخادم : سلامٌ لك ..

مابه : ولك السلام ... كيف الأسقف ؟

الخادم : ما أحسبُه الا في الساعات الأخيرة ..

مابه : واأسفاه ! .. ان التاريخَ يُعيدُ نفسَه ...

الخادم : سمعتُه أكثر من مرة يسأل عنك ..

مابه : كنت أُصلي من أجله ... ولكنني منذ الآنَ سألزمُ جانبَه حتى يقضيَ الله ما يشاء ...

(خطى ... قلقة ... ثم في حجرة الأسقف)

مـــابه : سيدي !... كيف تجدك ؟ !..

الأسقف : في الطريق الى الله .... يا مابه ..

مـــابه : ولكنك مع الله دائماً ... وهو يعلم أن عبادَه في أمسِّ الحاجة اليك ...

الأسقف : لتكنْ ثقتُك به .. كبيرة ... يا .. بني ... انه ... لن يتخلى ... عن ... عباده ... الصالحين ...

مـــابه : (**لنفسه**) ويلاه !... انها الإغماضة نفسهـــا التي طالعتني في دمشق ... سيدي !.. سيدي !....

الأسقف : ما .. ما .. به ... !

مـــابه : أيْ سيدي !.. إن أسقف دمشق قد أوصى بي اليك. وأمرني باللحاق بك . وقد حضرك من أمر الله ما ترى .. فالى من توصي بي ؟... وبمَ تأمرني ؟....

الأسقف : مـــا ... به !....

مـــابه : سيدي !....

الأسقف : ما أعلم ... رجلاً .. على مثل ما .. كنا عليه ... الا ... أسقف .. نصيبين ... فالحقْ به ..

(وقع حوافر ... ثم يرتفع صوت ناي ... وأصوات حيوانات برية .. تصور أوضاع السفر ..)

مـــابه : هكذا قضت حكمة الله ألاَّ ألقي عصا التسيار .. سعياً وراء الرجال الذين أتْمَمْتَهُم اللهُ على نعمة الحقيقة.. ولا أحد يعلم غيره أين سأجد مستقري الأخير !..

(أصوات حيوانات .. وحركة مسافرين ينزلون ..)

مسافر : اتهنئوا بالسلامة ...
آخر : أنظروا ... ما أروع نصيبين في مطالع الربيع !
وآخر : انها لمنعشة النسيم ...
وآخر : وساحرةُ الطلعة ...
مـــابه : أيها الأخ الكريم .. هل أجد بينكم من يهديـــني الطريق الى دار الأسقفية ؟....
المسافر : أنا ابن نصيبين فتعالَ أدُلّك .. ومن تريـــد في الأسقفية ؟
مـــابه : أريد مواجهة الأسقف ..
الدليل : ستسعد اذاً بتقبيل يديه .. انها والله لَبركة ..
مـــابه : يظهر أن الناس مجمعون على محبة هذا الرجل .
الدليل : ولِمَ لا يحبونه وهو عليهم أحنى مـــن الأب ، وأرحم من الأم !..
مـــابه : ليحفظْه الله لكم إذاً ..
الدليل : وهذا ما نصلي لأجله كل يوم ... ولكنْ ...
مـــابه : لكن !.. ماذا ؟....
الدليل : ان الهرم البالغ نذير الموت ... ومهما طالت بالشيخ الساعات فهو هامة اليومِ أو الغد ...
مـــابه : واحَزَناه !....
الدليل : ما بالك !..
مـــابه : لا شيء ... لقد تذكرت رجالاً اختطفهم الموت وأنا أحوج ما أكون اليهم ...

الدليل : أترى الى هذا البنـاء ؟.. انه هو دار الأسقف .. وهذا بابها . .

مـابه : ليجزك الله عني كل خير ... أيها المرشد الكريم ..

الدليل : لا تنس أن تقبل عني يد الشيخ البار .

(ويصحافحه مودعاً .. ثم يتجه مابه نحو مدخل الأسقفية ..)

البواب : **(في همس)** : أدخل في أناة ... واجتنب ذكر ما يزعج الأسقف .. انه منهوك القوى ولا يكـاد يستطيع حراكا ..

(مابه في مدخل حجرة الأسقف مطلاً عليه . الأسقف مستلقياً على سرير ..)

الأسقف : تعال..تعال يابني..لقدشوقتني قصتكالى رؤيتك..

مـابه : **(يدخل في خطوات وئيدة)** الله مع سيدي الأسقف المبارك .. **(يقبل يده ..)**

الأسقف : الله معك وملائكته وقديسوه ...)

مـابه : سيدي .... اني حامل اليك تحيات أخيك أسقف الموصل ... زودني بها في لحظاته الأخيرة .

الأسقف : يرحم الله ذلك الأخ الأبر ... فقد كان بقيـة الصالحين ...

مـابه : ولقد أوصى بي اليك فجئتك لتزودني ببعض ما آتاك الله من علم وتأديب ...

الأسقف : أنت إلينا حبيب ... ونتمنى أن يوفقنا الله الى الخير

الذي تريد .. ولكن .. ما أحسبني الاّ قليل الإقامة في هذه الدنيا ...

مـــابه : وهذا ما يملؤني خشيةً ... فلو وجّهتني الى من تثق به ، كما فعل سلفاك الصالحان : أسقف دمشق ، ثم أسقف الموصل ..

الأسقف : **(في صوت مكدود)** : والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا .. الا رجلاً بعمورية من أرض الروم .. فليكن طريقُك بعدي اليه إن أحببت . ولا تنسَ .. **(يغالبه السعال)** لا تنسَ اذا نعمت بلقياه أن تقبل عني يديه ...

(أجراس الموت تقرع الفضاء بضرباتها الرتيبة ... ثم خطا قافلة في الصحراء ...)

مـــابه : أيها الالٓه السرمدي.. لقد عودتني رعايتَك ، فلا تحرمني صحبة أسقف عمورية ، بعد أن استأثرتْ حكمتك بالثلاثة السابقين .. يا ملجأ الغرباء ، وملاذ الضعفاء .. أُقْدُر لي لقاءَ هذا الشيخ قبل وفاته ، ولا تدعني يتيماً محروماً من ظلال الصالحين ..

(خطى القافلة ثم مزمار حادٍ حزين .. وأخيراً حركة نزول ...)

أحد المسافرين : لتهنِك السلامةُ يا أخا فارس ...

مـــابه : شكراً .. ولْتَدُم لك السلامةُ يا أخا العرب ...

الرجل : هل أستطيعُ تقديمَ خدمةٍ اليك ؟...

مـــابه : انك غريبٌ مثلي في عمورية َ هذه !..

الرجل : هو كذلك ... ولكني رجلٌ تاجرٌ كثيرُ التردد على هذا البلدِ الرومي ... فأنا أعلم منه ما لا تعلم ..

مـــابه : اذن فعليـــك أُعوّلُ في الاستدلال عـــلى دارِ الأسقفية ..

الرجل : انها أحب مكان اليّ في هذا البلد .. ولسيدها في قلبي المقامُ الأعلى ...

مـــابه : ذلك من بوادرِ التوفيقِ الالهّي ... فالحمدُ لله الذي يَسَّرَ لي في كل مكانٍ مرشداً صالحاً الى رَجُله الصالح ...

(ويمضيان في الطريق إلى الاسقفية ...)

الرجل : هي ذي الدار التي تقصد .

مـــابه : ليجزك الله خيراً .

(ويجتاز الممر)

الأسقف : **(في صوت الشيخ الفاني)** : .. لقد سبقَتْك أخبارك إلينا أيها الفتى المبارك .. ويسرني .. أن ... ألقاك .

مـــابه : لا أشك أن عناية الله تقودني في رحلاتي كلها ... لتتيح لي نعمةَ القربِ من الرجال .. الذين أضاءت بهم السماءُ ظلماتِ الأرض ..

الأسقف : وما أقلَّ هؤلاء في أيامك يا بني !..

مـــابه : وهذا ما يضاعف حزني .. فأنـــا لا أكادُ أحظى بالواحدِ منهم حتى أفقدَه **(يبكي)**

الأسقف : من حقك يا بني أن تبكي ، فليس فراغ الأرض من الصالحين بالخطب الهين ..

مــابه : ولكن عزائي أنني ظفرت بلقائك .. واني لأرجو أن أجد في ظلك ما يعوضني عن كل ما فقدته في أولئك الأسلاف الطاهرين ...

الأسقف : اني لأهون من ذلك ... ولعلي اليك أحوج منك الي ...

مــابه : إن قلبي ليحدثني أنني واجد في كنفك كل ما يقربني الى الرب ...

الأسقف : ليحقق الله فألك (**بعد صمت ..**) أي بني .. لقد شاء الله أن يختارك لأمر غير عــادي ... فلتكن هذه الخبرة عدتك في هداية الحيارى ...

مــابه : حقاً .. لقد أطلعتني هذه الرحلات على الكثير مما أنا بحاجة الى معرفته .. ولعل أهم ما انتهيت اليه من ذلك يقيني التام بأن الأرض قد بلغت من الفساد حداً لا تصلحه الا دفقة جديدة من عناية السماء ...

الأسقف : هذه حكمة لا تتيسر إلا بالإلهام ...

مــابه : وهذا ما يجعلني أنظر الى رجال الله من خلال هذا الفساد الذي يغرق العالم ، كما ينظر الملاح الى منارة الشاطىء .. وهو يصارع أمواج المحيط !..

الأسقف : ذلك الفساد ... طالما أثار شجوني .. وأقض مضجعي الليالي الطوال ..!

مـــابه : فلا تدهش اذاً يا سيدي اذا رأيتني أضرب في الأرض رغبة في لقائك وإخوانك ، وأتشبث بكـــم تشبث الرضيع الجائع بثدي أمه . والغريق اليائس بطوف النجاة ...

(ويرق صوته حتى يسمع نشيجه) .

الأسقف : من حقك يا بني أن تفعل هذا كله .. فلقد ، والله ، فسد الناس حتى باتت كلمة الحق أغرب الأشياء في أسماعهم !...

مـــابه : عجباً للناس ! .. يتنكرون للحق ولا شفاء لشقائهم الا به ! ..

الأسقف : لكم آلمني أن أدعوهم الى الحقيقة الخالصة .. فلا أجد من يسيغها الا مشوبةً بأخلاط الأوهام ... وتشويهات الحكام ...

مـــابه : مساكين ! .. انهم يعادون أنفسهم ، ولا يشعرون !

الأسقف : وما أشقى الناس بالدين حين يُتخذ مطيةً لشهوات الحاكمين والمنحرفين المنافقين ! ... انه بذلك يفقد روحه المحييَ . اذ يصبح كالنسيج الحشي . لا عمل له سوى إلهاب الفتن ، ومضاعفة المحن ! .

مـــابه : لا أكتمك يا سيدي أنني رأيت الكثير مما تشير اليه .. ولعل أول ما يحسه الغريب في هذا البلد من تلك الانحرافات هو تسرب الوثنية الرومانية الى ديانة المسيح .. وليست صور القديسين وتماثيلهم التي تملأ باحات الكنائس في عمورية ، الا صورة مكبرة من

تقديس الشعب لتماثيل آلهته القديمة !..

الأسقف : إخفضْ صوتَك يا بني . فللجدران آذان في هذه الأيام .. ولتَعلمْ أن هذا بعض ما نشكوه من الانحراف في هذه الربوع ...

مابه : **(في لهجة حاذرة ..)** : وأشد ما آلمني أن يستهلك المصلحون في هذه الامبراطورية المسيحية جهودهم في موضوع طبيعة المسيح... أمفردة هي أم مزدوجة!. ثم حول هذا الموضوع تقوم الفتن ويساق الأبرياء الى التقتيل و التعذيب والتحريق !.... فكأن المسيح لم يأت إلا لمضاعفة البلاء ... وليس لرسالته من صلة بالشعوب ... التي تتوزعها مظالم الحكام . وغطرسة المترفين !!

الأسقف : لقد أدركتَ في القصير من سنيك ما لم يدركه ذوو الأعمار الطويلة ! .. وهذا من طلائع التوفيق الرباني الذي يبعث الأمل بأن خيراً كثيراً سيتحقق على يديك !..

مابه : وَأنّى لصغير مثلي أن يطمعَ بذلك !..

الأسقف : ان لله يا مابه لأسراراً في أضعف مخلوقاته ...

المشهد السابع

مسرح العمل : منزل الأسقف . الخان . الصحراء ..
الاشخاص : مابه . الأسقف . الخاني . شيخ القافلة . رجال آخرون ....

(ستّ سنوات قضاها مابه في جوار أسقف عمورية، كأنها الحلم السعيد ، كانت جَلْوةً من النور الالهي ... وقد عملت في قلبه كما يعمل مِشْذَبُ الخبير في أغصان الشجرة العزيزة.. صفَّت روحَه ، وسَمَتْ بأحاسيسه ، وفتحتْ له منافذَ الى نفحات دائمة من الغبطة التي لا توصف ...

وفي غمرة هذا الحلم نَسِيَ مابه صروفَ القدر أو كاد.. لذلك كانت الصدمةُ بالغةً عندما فوجيء بأستاذه يعالج غُصَصَ الموت ... !)

مـابه : سيدي !.. إن لقاءَ الله أحبُّ أمنياتِ الصالحين ، فهنيئاً لك الحبيبُ الذي أنت عليه قادمٌ .. ولكن ..

واأسفاه !.. سأكون بعدك أضيعَ من اليتيم .. فلا تَدَعْني على عمياءَ لا أعلمُ ما أصنع ...

الأسقف : **(في جهد ..)** : ثق بأن الله ... لن ... يتخلى عنك ..

مــابه : ذلك أملي فيه ... واني لأرجو أن يُلهمَك اشارةَ خيرٍ تُرشدني الى ما يسدّد خُطاي ...

مــابه : أواه ! لقد أوشكتْ أنفاسُه تنقطع ... ولكن ... لا ... هو ذا يتحرك ... سيدي !.. لقد علمتَ أني كنتُ مع أسقفِ دِمشقَ ، فأوصى بي الى أسقف المَوْصِل ، ثم أوصى بي هذا الى أسقف نصيبين ، الذي أوصى بي اليك .. فالى مَن توصي بي ؟.. وبمَ تأمرني ؟...

الأسقف : **(في تقطع ...)** أي بني ... والله ... ما أعلمه .. أصبح اليومَ أحدٌ .. على ما كنا عليه ....

(ويعقب ذلك فترةُ صمت..)

مــابه : ويلاه !.. أفكُتِب عليَّ إذن أن أقضيَ بقيةَ حياتي ضائعاً بلا مقر ... وضالاً بغير هاد !..

الأسقف : **(في همس مكدود)** : لقد أظَلَّ .. زمان نبي ..

مــابه : نــبي !...

الأسقف : وهو مبعوث بدين ابراهيم !...

مــابه : نبي !... بدين ابراهيم !...

الأسقف : يخرج بأرض العرب ...

مـــابه : نبي ... بدين ابراهيم ... بأرض العرب... ولكن . أين ؟ .. وكيف أعرفه ؟...

الأسقف : مُهاجَرُهُ .. الى أرضٍ بين .. حرّتين ... بينهما نخـــل ...

مـــابه : أرض ... حرتين ... نخل ... !

الأسقف : يأكل الهدية... ولا يأكل الصدقة ... **(ثم فترة صمت...)** بين كتفيه ... خاتمُ ... النبوة ... فـَ ..

مـــابه : واحزناه ! .. لقد خـَمـَدَ الجسدُ الطاهرُ الى الأبد . عليك رحماتُ اللهِ أيها الشيخ الصالح ..**(يقبله)** .. الآن قد انقطعت صلتي بالأرض .. أين أذهب ! بمن ألوذ ؟!.. **(يبكي ...)** ولكن خبر الرسول .. من حقه أن يفرغ عليّ الصبر .. ويَقْدَحَ في صدري زِنادَ الأمل .. لقد أيقظ في ذاكرتي طيفَ روزبة .. وخبرَ ماني .. عن النبي العربي الذي يسميه خاتَمَ النبيين . ويُهيبُ بفارسَ أن تتبعَه ... !

(زفرات ...) ولكن .. كيف تم هذا التلاقي بين ماني ... وشيخِ عمورية !! لا شك أن هناك مصدراً ربانياً جمع كلاً من الرجلين المتباعدين على هذه الحقيقة . .

(أجراس الموت ... حركات وخطوات ...)
مـــابه .. يقصد أحد محطات البدو ..)

مــابه : تحيةً لك أيها الخانيُّ الكريم ..

الخانيُّ : ولك التحيات أيها السيد الفاضل ..

مــابه : منذ ثلاثة أشهر أنتظر خبراً منك عن وصول قافلة عربية ! ..

الخاني : لو وصلت أية قافلة لما أحوجناك الى السؤال ، بل لأتيناك بنبئها الى مسكنك ..

مــابه : جوزيت خيراً ... أفلا خبَرٌ قريب !

الخانيّ : بلى ... ننتظر أن تُراحهنا جِمالُ بني كلب مساءَ غد ...

مــابه : بُشرى سعيدة .. اذن فسآتي في المساء نفسه ..

الخانيّ : ذلك خير ...

مــابه : وسآتيك بالمكافأة التي ترضيك ..

(ويعود أدراجه وهو يترنم)

قالوا : اللقاءُ غداً بمنعرَجِ اللِّوى

واطولَ شوقِ المستهامِ الى غدِ !

أجل ... واطُولَ شوقِي الى الغد ! .. الغد .. الذي سيحملني الى الفردوس الموعود .. ! « نبي .. بدين ابراهيم ... بأرض العرب ... مُهاجَرُهُ أرضٌ بين حرَّتين .. بينهما نخل ... يأكل الهدية . ولا يأكل الصدقة .. بين كتفيه خاتَمُ النبوة.. » ! سأظل أردد هذه الإشارات حتى لا أفقدَ منها حرفاً ... وحتى أضع يدي على وقائعها المنشودةِ

في أمكنتها المحدودة .. !

غداً ... وما أبعدَ غداً عن المَشُوق ... وما أقربَه في الخبرِ المصدوق ! ..

أيها الغدُ البعيدُ القريب ... أيها الحُلُمُ السعيدُ الحبيب.. أقبِلْ بموكبك البهيّ على مابهَ الغريب ...

(مابه في حجرته .. مطرقاً يفكر)

الخانيّ : لقد وصلت القافلةُ قبلَ موعدها المظنون ...

مــابه : لا زلت بشيرَ خيرٍ أيها الخانيُّ الميمون ... افتح راحتيك ... وهاك جميعَ ما لديَّ من نقود مكافأةً لك

الخانيّ : شكراً لك ... وضاعَف اللهُ فضلَه عليك ..

مــابه : إمضِ بنا يا أخا الرومِ الى شيخِ القافلة ..

(أقدام .. ثم ضوضاء النزلاء ..)

مــابه : عِموا صباحاً أيها الأماجد ...

أصوات : وسَعِدَ صباحُك ..

مــابه : هل لكم أن ترشدوني الى شيخ القافلة ؟

الشيخ : هو أمامك أيها الفارسيُّ الشريف ..

مــابه : وما أدراك أنني فارسي ! ..

الشيخ : تلك فِراسةٌ عُرِفنا بها ... فلا سبيلَ الى وصفها ..

مــابه : حقاً .. هل تقبلونني رفيقاً لكم الى الحجاز .. ولكم من الأجر ما تطلبون ؟

الشيخ : وكم تستطيع أن تدفع ؟

مـــابه : كلُّ ما لديَّ بضعُ بقرات وشُوَيْهَةٌ . فلَكُم أن تبيعوهنَّ وتأخذوا من ثمنهن ما شئتم ..

الشيخ : حسناً ... سُقْ انعامَك الينا .. وتَجَهَّزْ .. فإنا مرتحلون غِبَّ يومين ..

(القافلة في طريق العودة ... رنين أجراس الأبل.. وصوت مزمار حنون .. ثم حادٍ يغني على لحن نـــاي) :

ولما قضينا مِن مِنىً كـــلَّ حاجةٍ
وَمَسَّحَ بالاركانِ مَنْ هو ماسحُ
وشُدَّت على حُدبِ المَهاري رحالُنا
ولم يُنظِر الغادي الذي هو رائـــحُ
أخذنـــا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا
وسالتْ بأعنـــاقِ المَطيِّ الأباطِحُ

مـــابه : يا اَلله ! ... كم أنا سعيدٌ بهذه الصحراء ! .. عشرة ايام بلياليها نطويها بين رحيل ونزول . وكأننا ذرات ضائعة على بساطِها الذهبيِّ الذي يمتدُّ الى غير نهاية .. ولغتُها هذه الحيةُ الجميلةُ . إنها صورتُها الناطقة. فيها نعومةُ لياليها، وحرارةُ هجيرِها ، وروعةُ اتساعها ... فما أعذبَ رنينَها في السمعِ ، وهي تَصُبُّ في النفوسِ أدقَّ الخلجات. وتَمُدُّ العقولَ بأعمقِ التصورات ! حقاً انهـــا

الفُرصةُ مواتيةٌ .. أتيحَ لي أن أتعلمَ فيها ما لا
سبيلَ اليه في غيرِ الصحراء .. !
(**وقع أخفاف بعير يقترب** ...)

الشيخ : عِمِ مساء يا فتى فارس !...
مــابه : ونَعِمتَ مساء يا شيخَ الركب ...
الشيخ : لا بدّ أن الصحراءَ قد أتعبتْك ! ... ذلك أمر محتومٌ على كلِّ غريب ... إنها لا تلينُ إلا تحتَ أقدامنا نحن العرب ...
مــابه : ومع ذلك فأنا جدُّ سعيدٍ بصحرائِكم الحبيبةِ الرهيبة ...
الشيخ : حقاً إنها لحبيبةٌ ورهيبة ...
مــابه : ما أشبهها بأبنائـها ! ..
الشيخ : لا غرابةَ ... أليست أمَّهم ! ...
(**يصرخ**) : يا صخرُ بنَ ثعلبة ! ...
صخر : (**من آخر القافلة**) ماذا هناك يا شيخ !
الشيخ : منزلُنا هنا الليلة ... قربَ الماء ...
صخر : المنزلُ هنا يا فتيانَ كلب ...
أصوات : نعمَ المنزل ... فكُّوا الرحال .. اضربوا الخيام ..
الشيخ : (**في صوت ممدود هادىء**): انني أعوذ بصاحب هذا الوادي من الجن ومن شر ما فيه ..
(**وفي نبرات عالية**) : يا صخرُ بنَ ثعلبة ..
صخر : لبَّيك ...

الشيخ : اختر الحجرَ الصالحَ لنرفعه رمزاً للآلهة ...
صخر : قد فعلتُ ذلك أولَ شيء ...
الشيخ : حسناً صنعت .. أُدع الرفاق للطواف به ...
صخر : معبودُكم هنا ... فأقبلوا للطواف به .. أيها الرفاق.
أصوات : (حركة الرجال طائفينَ حول الحجر وهم يُرَدِّدون) : لبيك اللهم لبيك ... لبيك لاشريك لك ... إلا شريكاً هو لك ... تملكه وما ملك ...
(حركة نزول ... وجلوس ...)
الشيخ : يا فتيان كلب .. نحن هنا على تخوم نجد ، وفيه مطمع لفُتَّاك الصعاليك .. فمن يتولى حراسة القافلة ليلتَنا هذه ؟
أصوات : دعها لنا ...
الشيخ : أخشى أن يتلعب بكم صعاليك هُذيل ..
صوت : يسرنا أن نجرِّب سيوفنا برقابهم ..
الشيخ : همةٌ غيرُ منكورةٍ عليكم يا أبناءَ حنظلة ...
(حركة سلاح ... وقع أقدام ...)
صوت : **(من طرف القافلة يهتف)** : سيوفكم أيها الرجال ... لقد دهمكم اللصوص ...
أبناء حنظلة: نحن بانتظارهم ... على أحرَّ من الجمر ...
(ويركضون نحو الصوت) ...
الشيخ : هيا يا فتيان الوغى لحماية أموالكم ...
أصوات : هيا .... هيا ...

صوت : (**من خلف القافلة**) : لَتَدَعُنَّ ما تحملون ...
أو لَتَلْقَوُنَّ المَنون ...

صوت : لا واللاتِ ... لا قِرى عندنا غيرَ ظُبي سيوفنا ...
(**ضجة ... قعقعة سلاح .. وقتال ..**)

صوت : الويل لهؤلاء اللصوص ! . انهم لا يُباشرون القتالَ إلا لِماما .

صوت آخر : أنظرْ اليهم يُولُّون الأدبار ...

صوت آخر : تلك حيلتُهم دائماً ... يضربون ويهربون ...

صوت آخر : وسرعان ما يَعودون !

الشيخ : بوركتْ عزائمُ الفتيان .. هكذا فليكن شأنُكم مع كلِ من يعترِضُكم .. شدّدوا الحِراسة ... ولا تأمنوا الغادرين ..

صوت : لِنقضِ بعضَ ليلتِنا في الخمر والميسر ..

صوت : هات ياسُليم .. فقد احترق حلقي ظمأً الى نبيذِك ..

صوت : هلموا .. فاليومَ خمر .. وغداً أمر ..

صوت : تعال شاطرنا الشرابَ يا أخا فارس ..

مــابه : يسعدني أن أجالسكم ، ولكنني اعتذر عن مشاركتكم الشراب ...

(**تُقرع الكئوس ...**)

أحدهم : (**منشداً**)

ولولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشةِ الفتى
وَجَدِّكَ لم أحفلْ متى قــام عُوَّدى

فمنهن سبقي العاذلات بشربة
كُمَيْتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تُزبِدِ
وكرّي اذا نادى المُضافُ مُحنَّباً
كسيدِ الغَضا ذي السَّورة المُتورِّدِ
وتقطيعُ يومِ الدجنِ ، والدَّجنُ مُعجِبٌ،
بِبَهْكَنَةٍ تحتَ الخِباءِ المُعمَّدِ

أحدهم : والعزّى لقد أحسنَ الشاعرُ الاختيار ..

آخر : (**وقد تعتعه السكر**): فما بعد هذه الثلاث من شيء.

أحدهم : أي سُليم .. شدّ ما غبطناك على حظك من تَرِكة أبيك .. فكم قبضتَ ثمن زوجته ! ..

سليم : ثمانيةَ بُعران .. وأنت يا عمرو .. ماذا صنعتَ بزوجة أبيك ؟

عمرو : احتفظتُ بها لنفسي على الرغم مما بُذل لي فيها من أنعام ..

سليم : نعمَ ما صنعت .. فان لها جمالاً تُحسدُ عليه . وأنت يا فهر .. حدّثنا عن وليدتك لعلك استبقيتها كما فعل عروة .. ؟

فهر : بل دفنتُها دون رحمة .. ولم تَصرفني عن ذلك دموعُها ، وهي تَنفُضُ الترابَ عن لحيتي وتسألُني في جزع : أقاتلي أنت يا أبت ! !

مــابه : (**ينهض في غير وعي**) : يا لَلضَّراوة ! ..

أحدهم : إلى أين ؟ ..

مـــابه : أعتذر اليكم فانا بحاجة الى النوم ..

آخر : يبدو أن رقته لم تحتمل قصة فهر ..

مـــابه : (لنفسه) إن شأنَ هؤلاء البُداة لَعجيب... يرتفعون الى المستوى الأعلى من الفضائل .. وينحدرون حتى يفوتوا بقسوتهم الوحوشَ الكواسر ... !

صوت : (منشداً من بعيد)

أربّاً واحداً أم ألــفَ ربّ
أدينُ اذا تَقَسَّمَتِ الأمورُ !
عزلتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً
كذلك يفعلُ الجَلْدُ الصبور
ولكن أعبدُ الرحمنَ ربي
ليغفرَ ذنبيَ الربُّ الغفــور

مـــابه : (مردّداً) ... ولكن أعبدُ الرحمنَ ربي
ليغفرَ ذنبيَ الربُّ الغفور

ما أحبَّ هذا النغم إلى قلبي ! .. وما أغرب هذه المناجاةَ في أرض الخمر والغارات .. ووأد الصغيرات !... انها لانتفاضةُ الفطرةِ الّتي تتحركُ للتفلت من أغلالِ الوثنيةِ والجاهلية ! ..

ليتني أعرف صاحبَ هذا الصوت ..

صوت : (من خلال الخيام) : ألم تعرفه ! .. انه واحد من أولئك الحُنَفاء الذين رفضوا آلهتَنا . فهم يهيمون على وجوههم في هذه الصحراء بحثاً عــما

يسمونه الحقيقة ! ..

مـــابه : وهل هم كثيرون.. هؤلاء الحنفاءُ يا أخا كلب ؟..

الصوت : ستلقى غير قليلٍ منهم كلما دنوتَ من البيتِ الحرام ...

مـــابه : **(مستمراً في سيره)** : ما أسعد هؤلاء البـــدوَ بحريتِهم ، التي تُبيحُ لمثلِ هذا المتمردِ أن يَجهرَ بكل هذه المطاعنِ على آلهتهم ! .. أين هذه الحريةُ من طغيانِ فارس .. ومظالمِ الروم .. التي لا تَجد لمثل هذا المتمردِ غيرَ السجون أو المنون ! . الآن أدركتُ سر الحكمةِ الإلهَيةِ في اختيار هذه الجزيرةِ دون سواها لبعثة خاتم النبيين ! ..

المشهد الثامن

مسرح العمل : في الصحراء . وادي القُرى . حصن قريظة .

الأشخاص : مسابه . شيخ القافلة . اليهودي عثمان الأشهل .
ابن عمه حُويطب .. الناسك اليهودي . . خدم
ورجال ..

(القافلة تسير ... وقع الأخفاف ، واهتزاز الرحال ...)

مسابه : يا إلهي الرحيم ... اليك أرفع صلواتي الحارة ، في
هذه الامسيةِ الصحراويةِ الساحرة ، ضارعاً أن
تقودَني كما عودتني ، الى الخير الذي أنشده من
أقرب سبيل ...
يا الهي الحكيم ... ان قلبي ليرتفع وجيبُه .. وإني
لأستشعرُ توقعاتٍ سعيدةً لا أعرف لها تفسيراً ..
فاجعلها طليعةَ السعادةِ التي أهفو اليها .. ونجِّنا من
الشريرين . آمين .

صوت : هو ذا وادي القرى ...

صوت : حقاً .. لقد بدت طلائعه ... من النخيل ..

مـــابه : (**مناجياً نفسه**) : وادي القُرى !.. لا أذكرُ هذا الاسمَ من قبل ... ولكن يلوحُ لي من فرحة الرَّكب أننا أصبحنا على مقربة من الغاية المنشودة .. فاللهم توفيقَك ...

الشيخ : (بلهجة قاسية) : أيها الفارسي ! . انك عبدٌ لي منذ اليوم ... فحَذار أن يَفرُطَ منك أي تمرد ! .

مـــابه : (في هلع المفاجأة) أنا عبد ؟ !

الشيخ : أجل ... إنك عبدي منذ اليوم ...

مـــابه : ولكن ... بأي حق تضربون عليَّ الرِّق ؟ .. وأنا الذي لم يَعرفِ العبوديةَ قط ! ..

الشيخ : (في قهقهة جافة) : بحق القوة .. وبحق الجنس .. إنك أعجميٌّ .. وليس لأعجميٍّ حقَّ الحريةِ في هذه الصحراءِ الا أن يكون في جوار سيّدٍ منها ..

مـــابه : (باكياً) : يا قوم .. والله ما وطئت أرضَكم الا ابتغاءَ الحرية.. فدعوني أحققْ بغيتي في البحث عن الحق . الذي آثر اللهُ به أرضَكم ولغتَكم ..

الشيخ : هذا كلامٌ لا نفهمه ..

مـــابه : أستحلفكم بالله الذي فضلكم على جميع خلقه ببعثة خاتمِ أنبيائه أن تَدَعوا لي حريتي .. ولكم كلُّ ما بقيَ لديَّ من مال ...

الشيخ : وأيُّ مالٍ بقي لك ؟ .. ألا تعلم أن العبدَ وما ملكت يداه لمولاه ! ! ..

مـــابه : لِتكنْ مشيئتُك اذن يا مالكَ الأرضِ والسماء ... لقد آمنتُ بك ، ولا أشك بأنك لن تختارَ لي الا الذي هو خير ...

الشيخ : استبدل بثوبك هذا .. وعليك أن تكونَ مع رفاقِك من العبيد في المؤخرة ...

مـــابه : سأفعلُ كل ما تُريدون ... وستجدونني ان شاء الله من الصابرين على قضائه ..

(القافلة تتابع السير ... وناي يصفر بلحن شجي ..)

الشيخ : يا صخرُ بنَ ثعلبة ..

صخر : لبيك ...

الشيخ : منزلنا هناك .. في مدخل وادي القُرى ...

صخر : **(صائحاً بأعلى صوته)** : يا فتيانَ كَلْب .. وجهوا إبلكم الى مدخل القرية ... هناك النزول ..

(وقع اخفاف الابل .. ممزوجة برنين أجراس الابل .. ثم تُناخ ... وسط بعض الضجة ... خطا تقترب ...)

صوت : حيا الله التجار ...

الشيخ : يا مرحباً ببني الاشهل ...

عثمان بن الاشهل: ما الذي ستشتري منك هذه المرةَ يا أبا عُويمر ؟

الشيخ : كل شيء ... وسأتحفك أنت بمملوكٍ لن تجدَ له

مثيلاً بين مماليك يهود ...

(يصيح بأعلى صوته) يا مابه ! ...

مــابه : **(من بعيد)** : لبيك ..

الشيخ : أقبِلْ ليراك سيدُ بني الأشهل ..

عثمان : يبدو أنه هزيلٌ جداً يا أبا عويمر ... !

الشيخ : ولكنه نشيطٌ جداً ... وبقليل من العناية يمتلىء شحماً ولحماً ...

عثمان : وكم تبغي به ؟

الشيخ : الف درهم .. فقط

(خطى .. وحركة أبواب .. وثغاء شياه ..)

عثمان : أظن اسمك مابه ! اليس كذلك ؟

مــابه : أجل .. مابه ..

عثمان : هنا مبيتُك .. وعليك أن تنهضَ كلَّ صباح للعمل في خدمة النخيل ... وسيتولى المملوكُ سامرٌ تدريبَك ...

مــابه : سمعاً وطاعة ...

(خطا عثمان تبتعد ..)

مــابه : اللهم املأْ صدري رضا بمقاديرك ... وثقة بحكمتك .. واحفظْ برحمتك قلبي أن يُداخلَه اليأس من رعايتك .. انك أَرحم بعبدِك من أمهِ وأبيه ..
هاأنذا في أرضِ العرب ... وهذا هو النخلُ يملأُ جوانبَ القرية . أفتَراه هو المكانَ الذي تَم فيه المعجزة ! ..

ولكن .. لا أكاد أرى من الناس هنا سوى اليهود ..
ولا أجد أثراً للحرّتين ... ومعنى هذا أنني لا أزال
بعيداً عن مَشرقِ النور الجديد ..!
يا إلهي املأ صدري رضا بمقاديرك .... وثقة
بحكمتك ... ونجّنا من اليأسِ ... والشرير .. آمينَ
(حركة ... ثم خطى .. ثم أصوات معاول ...
وحفيف أغصان ...)

مملوك : **(لزميل له ..)** أرأيت هذا الفارسي ..! أنظر كيف
يبالغُ في النشاط ، كأنما يعمل لنفسه وفي رزقه ! ..

آخر : أفيرضيك هذا منه ؟... إنه سيَجرُّ علينا البلاء ...

المملوك : وهذا ما يُخيفُني .. لأن مالكنا ابنَ الاشهل لن
يُرضيَه أن نكونَ دونَ هذا النشاط ..

الآخر : واذن فلننتظرْ دفعةً جديدة مِن الهوان والعذاب ...
(خطى ...)

عثمان : بوركتَ يا مابه ... والله لو توقعتُ منك هذا النشاطَ
لما بعتُك .

مـابه : **(من أعلى النخلة)** : ولم لا تستبقيني لك ... ما
دمت راضياً عني !

عثمان : أَطْمَعَنا الربحُ يا مابه ...

مـابه : واذن سأنقلُ من هنا ؟

عثمان : أجل ... ستُنقل اليومَ الى ابن عمي حويطِب في
حصن قريظة ...

مـابه : أوَهناك نخيلٌ كالذي هنا ؟

عثمان : هناك النخيلُ الكثير .. ماذا ما بين الحَرَّتين ..

مـــابه : الحرّتين !!...

عثمان : الحَرَّتين ... أجلْ ... ولكن .. مالك ولهذا ؟...
إن عليك أن تعملَ حيث يتقرر مصيرك ..

مـــابه : حقاً ... فليس للعبد من رأي ...

(وقع خطى ...)

مـــابه : (لنفسه) : النخل ... والحَرَّتان ..... وأرضُ العرب !...

عثمان : أهلاً بحويطب ... جئت اذن !

حويطب : سلامٌ لك... أين الغلام ؟

عثمان : إهبط يامابه عن النخلة.. والزمْ منذ الآنَ سيدَك الجديد..

(خطى .. ووقع حوافر ...)

مـــابه : يالله !.. انها هي ... هي الارضُ التي حدَّدَها لي رجلُ الله !.. وهاتان هما الحَرَّتان .. تُحيطان بنخيلها كذراعي الزنجية تعانق طفلها الحبيب !..
أجل .. كل الاشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله.

(خطا .. وحركة عمل ... وأصوات معاول ومشاذب ..)

رجل : أي حُويطب !.. هل لك في بيع هذا الغلام ؟...

حويطب : هذا آخر ما أفكر به ..

الرجل : ولِمَ ؟... أليس المالُ هو غايةَ اليهودي ! وأنا مستعدٌ أن أدفعَ لك به ضِعْفَيْ ثمنه ..

حويطب : ضِعْفَيْ ثمنه !.. عرضٌ مُغْرٍ .. ولكني لن أجدَ

مثله أمانةً ونشاطاً . ومجردُ التخلي عن هذه المميزات خسارةٌ لا تُعَوَّض ...

الرجل : والله اني لأعذرك في التشبثِ به .. فليس لقريظة عهدٌ بهذا الضرب من الرقيق ...

حويطب : تعال بعيداً .. فأني أخشى أن يسمعَ كلامَك فتُفسَده عليَّ ..

(خطى تبتعد ..)

مـابه : ما أحسب هذا الرجل الا قد جاء يُساومُ ابنَ الاشهلِ عليَّ .. وهذا أخوف ما أخافه .. وكيف لا أخافُ الانتقالَ من هذه الأرض ، وهي التي تُطل بي على الحرَّتين وما بينهما!.. ألا ما أروعَ سوادَكِ أيتها الحجارةُ التي تَحتضنين يثرب !.. انك لأشدُّ في عيني بياضاً من ثلوج أصبهان ، وأجملُ رونقاً من بواكيرِ الربيع ...

(تغريد بلبل بعيد ...)

مـابه : (يتابع بحواه) : أيتها الحجارة الغالية ... اني لأتطلع من خلالكِ الى اليوم الموعود ، يوم تُقَبِّلينَ قَدَمَيْ الحبيب ... الذي تَرقبُ هجرتَه اليك الأرضُ والسماء .. فلا أُروى من مشاهدتك ، ولا أتمالك دموعي لهفةً الى ملامستك ... فكيف أُطيق فراقَكِ !.. بعد أن جعلك الله مني بمرأى العين !..

(يرق صوته .. حتى يغلبه البكاء .. ثم خطى . وثغاء أنعام وموسيقى فيها الوان المساء ...)

حويطب : مــابه ...

مــابه : لبيك ....

حويطب : إحبِس الانعام .. ثم وافِني الى الدار لتُصلحَ قاعةَ الجلوس ...

مــابه : سمعاً وطاعة ..

(خطى اليهودي تبتعد ...)

مــابه : لا بد أن هناك مؤامرةً جديدةً على أهل يثرب ... ألا ما أغربَ هؤلاء اليهود .! انهم لا يعرفون ربّاً سوى المال ، يسلكون اليه كلَّ سبيل . وهاهم أولاء يُوقدون الفتنَ بين أوسِ يثربَ وخزرجهــا ليستبقوا سلطانَهم الماليَّ على رقابِ الفريقين !.. انه لفَسادٌ واللهِ فاق كلَّ ما شاهدتُه مــن ألوان الفسادِ في الاقطار التي عرفتها جميعاً .

(خطى ... وحركة رجال ...)

مــابه : انهم شيوخُ قريظة .. يَقدمُهم كبيرُ الأحبار ... نجنا اللهم من الشريرين ... آمين .

صوت : اللهُ معكم .

صوت : سلامٌ لكم ..

صوت : طاب مساؤكم ...

(يجلسون ...)

حويطب : مابه ...

مــابه : (من الخارج) : لبيك ...

حويطب : عجل لنا بالتَّمرِ والزُّبد ... ثم لا تدعْ أحداً يدخل علينا هذه الليلة ..

مــابه : سمعاً وطاعة ..

(حركة ... وخطى ...)

احد الشيوخ : .. وقد علمتَم أن هؤلاء العرب لا يقيمون وزناً للمال ، فهم يؤدون كلَّ ما نفرضُه عليهم مـــن الربا .. ثم لا يرفضون تأجيلَ الدين مقابلَ زيادتِه أضعافاً مضاعفة ..

ثان : ومن هنا أصبح كل من فريقيهم المتناحرين خاضعاً لسلطاننا ، إن شئنا ضيقنا عليه ، وان شئنا أمددناه بالقدرةِ على مواصلةِ القتال ضدَّ أقربائه ..

ثالث : فعلى حَبرِنا الجليلِ إذن أن يبين لنا حكمَ التوراة في هذا الأمر .. لنكون على بينة مما نعمل ..

الحبر : **(في صوت كهنوتي ثقيل)** : ليس عليكم لوم في كل ما تصنعونه للحصول على أموال العرب .. انكم لَقليل ، وإنهم لكثير ، وما لم تملكوا عليهم سبيلَ المالِ فلن تأمنوا البقاءَ بينهم ..

حويطب : صدقت .. صدقت ... **(ثم يهتف عالياً)** : يا مــابه ! ..

مــابه : **(من الخارجِ)** : لبيك ...

حويطب : هات الجَلاّبَ المبرَّد ....

(خطى ... وحركة ...)

حويطب : نفهم من كلام حَبْرِنا الجليل أن لليهودي الحقّ في أن يأكلَ الربا من العربي .

الحبر : لا خلاف على هذا .. بل لليهودي أن يأكل ما شاء من مال غير اليهودي .. ولا حُرمةَ في الربا الا أن يأكله يهوديّ من يهودي مثله .. أما من الأمم الأخرى فكل مال له حلال .. حلال ..

صابه : (لنفسه) : ما أكذبكم أيها الضالون على الله !.. رباه .. لقد استحكم الفساد في الأرض ، فمتى تنزل رحمتك لتطهيرها .. ! ! ...

المشهد التاسع

مسرح العمل : حقل النخيل . دار حويطب .... الطريق بينهما .
الاشخاص : مابه . حويطب . ابن الهيبان . ربيح ومسعود زميلا مابه . يعقوب وحُيي ورجال ....

(حركة مشاذب ومقاطع ... وحفيف أغصان النخل)

ربيح : أرأيت يا مسعود كيف تغيرتْ حياتُنا منذ قَدِمِ ذلك الرجل !

مسعود : صدقتَ يا ربيح .. فوالله لقد خفف عني الكثيرَ من أثقال هذا اليهودي الغاشم ..

ربيح : ليته يبقى في قريظة طويلاً ... فلعله يلطفُ عنا من شرور هؤلاء القساة ..

مسعود : سمعته يوبخُ اليهودَ على سوءِ معاملتِهم عبيدهم ، وتكليفِهم ما لا يُطيقون ...

ربيح : ما أحرَّ مواعظَه !.. انها لَتَهُزُّ القلوبَ حتى لا

يتمالكَ سامعُها دموعَه ...

مسعود : إلا قلوب اليهودِ طبعاً .. تلك التي صُنعت من صُمِّ الصخور ...

ربيح : ويحَك ..! إخفض صوتَك ..

مسعود : هل في الحقل من يهودي !

ربيح : قد يتسللُ الينا ذلك الخبيثُ على عادته دون أن نشعرَ فنتعرضَ لكارثة ..

مـــابه : **(من اعلى النخلة المجاورة)** : أيْ ربيح .. لا بد أنكما تتحدثان في شأن هذا الوافدِ المبارك !

كلاهما : هو كذلك ...

ربيح : ألم تشعر يامابه بتلطف الجو منذ حلوله في هذا الحصن !

مـــابه حقاً .. ذلك شيء ملموس .. ولكن ..

مسعود : مـــاذا !..

مـــابه : لماذا يحرموننا سَماع كلامه !

ربيح **(مقهقهاً)** : ما رأيتك أغبى منك اليوم !.. ألا تعلم أنهم يخشونه علينا ؟

مـــابه : يخشونه علينا ؟...

مسعود : يخشون أن نسمع منه ما يُشعرنا بإنسانيتنا ، فَيُسيء ذلك الى غطرستِهم ..

مـــابه : **(لنفسه)** أجل ... هذا ما كنت أفكر فيه .. **(ثم يوجه الكلام الى المملوكين)** : هل علمتما شيئاً عن هُويةِ هذا الناسك ؟..

ربيح : لاشيء.. سوى أنه من يهود الشام.. واسمه (ابن الهيّان)

(نهيق صادر من مدخل الحقل ... ثم صوت حوافره ...)

مسعود : انه صاحبكما حويطب فأمسكا ...

(يقبلون على عملهم .. فلا تسمع الا حركات أدواتهم في أعالي النخيل ...)

حويطب : ما أظنكم الا كنتم تتشاغلون بالثرثرة !.. قبّحتْ نفوسُ العبيد .. ما أبعدها عن اخلاص العمل !.. تذكروا أنكم ستأكلون .. فاعملوا بثمنِ طعامِكم طعامِكم على الأقل ... مسعود !..

مسعود : لبيك ...

حويطب : لن تتناول طعامي حتى تُنهيَ نخلتك على خيـــر الوجوه.. وأنت .. أي ربيح..أفهمت!.. أمّا انت يامابه فما أحسبك في حاجة الى تحذير أو تنبيه ...

ربيح : **(في همس)**: أتسمع يا مسعود !..

مسعود : هكذا جنى مابه علينا ... بمبالغته في العمل !.

(حركة .. وخطى ... و نهاق ... وثغاء ..)

حويطب : أي مابه ... تقدمْ بأنعامك ... وعجلْ في تأمينِ مبيتها ... ثم الحق بي الى البيت ..

مـــابه : سمعاً وطاعة ...

(خطى ... وثغاء ... وحوافر حمار ..)

حويطب : مابه !..

مـــابه : ها أنذا ..

حويطب : ان ضيفنا قد صابَحَتْهُ وعكة ٌ ثقيلة ، فعليك أن تُعدَّ له مجلساً مريحاً في حجرة نومه ...

مــابه : سمعاً وطاعة ..

حويطب : ولكن .. انتبه ... حذار أن تزعجه بأي سؤال .. أفهمت !. بأي سؤال ...

مــابه : أفعل .. ان شاء الله . **(ثم يهمس لنفسه)** : وتلك نعمة ٌ أخرى من فضل الله ...

(خطى ... وحركة خفيفة ...)

مــــابه : **(في مثل الهمس)** : سلام لك .. أيها الصالح ...

ابن الهيبان : **(في جهد ... وسعال)** : ولك سلامٌ من الله .. أيها الفتى الأمين .

حويطب : **(من الخارج)** : مابه ! .أيهاالوقح..أُخرج حالاً ...

مــــابه : هاأنذا ...

(وقع أقدام ... ثم صوت صفع وضرب ..)

حويطب : قلت لك : حَذارِ أن تزعجه بأي سؤال ... ألم تفهم ! ! ..

مــــابه : ولكني لم أسألْه قط ... بل حييتُه فقط ... ولم تَنْهَنِ عن ذلك ....

اليهودي : إذنفاعلمأنليسلكأنتتصل بهأبداً.. أبداً..أتسمعْ؟!

مــابه : كفى لقد سمعت ...

(ويتتابع الرجال ... فتسمع حركة أقدامهم ودخولهم ...)

مـــابه : **(لنفسه)** : ... اثنان !.. خمسة . ثمانية ... عشرة ... يبدو أن سهرة الليلة حافلة بشيوخ يهود وشبابهم.
(صمت مخيم ... يقطعه سعال جاف بين اللحظة والأخرى ...)

مـــابه : **(في مثل الهمس)** : سأحزن كثيراً اذا فاتني شيء من حكمة هذا الشيخ .. فلأتخذْ لنفسي مخبأً أسمع منه ... دون أن يراني هذا اليهودي الظالم ...

ابن الهيبان : **(في صوت مجهود)**: يا معشر يهود ... ما ترونه أخرجني من الشام أرضِ الخصبِ والخير ... الى أرض البؤس والجوع هذه !..

أصوات : أنت أعلم ...

ابن الهيبان : ألا فاعلموا ... أني انما قدمت ... أستقصي ظهورَ نبي ... قد آن أوانُه .. وهذا البلد مُهاجَرُه
(ويغالبه السعال) .

ابن الهيبان : كنت أرجو أن أدرك هذا النبيَّ فأتبعَه ... ولكن .. حضرني ما ترون ... وأخاف أن يحولَ الاجلُ بيني وبين لقائه ... وقد اقترب موعده .. فلا ... تُسبَقُنَّ اليه ... يا .. معشرَ يهـــود ... لا تُسبَقُنَّ ... إليـــ ....ه ...

أصوات : أسندوا الشيخ ... انه يَهوي ...
(حركة وخطوات ...)

أحدهم : لقد غلبه الاعياء ... فلْندعْه يستَريح .. لعله يستعيدُ بعضَ قوته ...

(حركة خروجهم ... وخطاهم متتابعة ..)

مـابه : (هامساً لنفسه مردداً) : نبيّ .. آن أوانُه !..
وهذا البلدُ مُهاجَرُه !.... وقد اقترب موعده !..
أليس هذا نفسه الذي أخرجني أيضاً الى هذه الأرض !...
ليت شعري ... هل يستجيبُ هؤلاء اليهودُ الى دعوة هذا الصالح ؟ ...

(خطا ... وصياح ديكة .. وحوار ..)

مـابه : لا ينبغي أن يفوتني ما سيتحدثون به .. فلأتعقبْهم عن كَثَب لأعلم ما يقولون ..

(الخطى مستمرة ...)

أحدهم : كلامُك حق يا سَمَوأل ... فمن الخير الاّ يحرمنا الشيوخ رأيَهم الحكيمَ في هذا الذي سمعناه من الضيف الناسك ...

آخر : ان الامرَ جِد ... وقد طالما سمعنا مثلَ ذلك النبأِ يتناقلُه أحبارنا ...

آخر : فلِمَ اذن لا تُحددُ يهودُ موقفَها منهذا المبعوثِ المنتظر !..

آخر : ان ابنَ الهَيِّبانِ يقول انه قد اقترب موعده ...

آخر : فلا مُتَّسَعَ إذن للتردد ..

شيخ : هونوا عليكم يا فتيان قُريظة ... ان الرجلَ يَهذي.

الشباب : يهذي !..

فتى آخر : اذا كان هذا هذياناً فمعظمُ أحبارِنا الذين تكلموا في الأمر قبله هاذون ! .

شيخ آخر : على كل حال .. ليس مثل هذا الأمر من شئون الشباب .

شيخ : دعوه لشيوخكم يدرسونه في روية ...

شاب : وهل الأمر خاص بالشيوخ وحدهم !..

آخر : انه يتصل بحياةِ يهودَ جميعها .. فبحثُه حق لكل واحد ....

آخر : ونحن من هذا الأمر بين حقٍ أو باطل . فلئِنْ كان حقاً وجب ألاَّ يسبقَنا اليه العرب ..

شيخ : ولكنكم لا تعلمون عاقبةَ ذلك ..

شيخ : أجل .. إنكم لا تعلمون أن وراء ذلك ذُلَّ يهود جميعاً !..

شيخ : ان ذلك سيجعل الجنس اليهودي في حال تبعية لغيره... فهل ترضون هذا المصيرَ لجنسكم المختار !..

شاب : وما شأننا نحن ... اذا كانت تلك ارادةَ الله !

شيخ : إرادة الله !..

شاب : وحكمته التي لا اعتراضَ عليها ...

شيخ : وهل من الحكمة أن يَفقدَ بنو اسرائيلَ عزَّهم وثروتَهم ونفوذَهم !... ان الأمرَ كما قال حِصْنٌ

فوق مستوى عقول الشباب .. فدعــوه لأصحاب العقول المجربة يروا فيه رأيَهم ......

شيخ : إن اليهودي الأصيل لا يفارق أمر الحاخامين .. ولو خالف تعاليم التوراة ..

آخر : تماماً .. ذلك حكم التلمود الذي لا دين غيره ليهود ..

(الاصوات والخطى تأخذ في الابتعاد ... حتى تغيب ..)

مــابه : (**لنفسه**) : الويل لكم يا شيوخَ قُريظة !.. تؤثرون مصالحَ اليهودِ على أمر الله !. تُغررون بالشباب المتفتح للخير ، لكي تصدوه عن هَدْي الله ...! انها شِنشنةُ أسلافِكم قَتَلَه الأنبياء، وَعَبَدَةَ الذهبِ والمتاعِ الزائل ... الويلُ لكم يا أعداءَ الله !

(صياح الديكة ... وثغاء ... وخطى .. ثم حركة الأدوات القاطعة والكاسرة .. في الحقل ..)

مسعود : لو كان لي حق التصرف لما فاتتني جنازةُ ذلك الرجل المُبارك ..

ربيح : ان يشيعوه قبل ظهر اليوم .. فلعل الأشهليَّ يأذنُ لنا بحضورها ..

مــابه هيهات !.. ان ذلك سيقتضينا وقفَ العمل بعضَ الوقت ، وهذا بنظره مصيبةٌ لا تُحتمل !.

مسعود ؛ لم يبقَ في قُريظةَ لسانٌ الا وهو يتحركُ بأخبار هذا الرجل ...

ربيح : بعضها مسموع ... وأكثرها مهموس ...

مـــابه : ماذا تعني بالمهموس !!..

ربيح : انت أعلم بالمسموع والمهموس من هذه الأخبار .. لأنك الوحيد الذي أتيح له أن يكون قريباً من الرجل.

مسعود : حقاً ... فلا بد انك تلقفتَ بعضَ أخباره ومواعظه.

مـــابه : لم يُسمحْ لي بحضور مجلسهم ... وقد تلقيتُ عقوبةً غير يسيرة لالقائي التحيةَ عليه ...

ربيح : أما أنا فقد سمعتُ رُشاشاً من أحاديثِ القوم أثناء قدومِنا الى الحقل ...

مسعود : حولَ أي شيء ؟...

ربيح : حول نبي ....

مسعود : نبي !.. من هو ؟...

ربيح : لم أفهم من أمره أكثرَ من أنه ... نـــبي .. قَرُبَ ظهورُه ...

مـــابه : هو الذي حدثتكما عن أمره من قبل ...

مسعود : ذاك الذي قلت : انه سيُبعث بدينِ ابراهيم .. وسيكون مُهاجَرُه الى يثرب !..

مـــابه : بلى .. انه هو .... نفسه ..

ربيح : وما يهم العبيدَ أمثالَنا من شئون الأنبياء !.. ان لنا

من اثقال العبودية ما يَشْغَلُنا عن كل شيء .. غير هذه الاعمال الشاقة ...

مــابه : على مهلك ... أيها الرفيقُ ... ان النبوةَ سفينةُ النجاة لكل المظلومين ..

ربيح : إلا العبيدَ المناكيد ...

مــابه : كلا يا ربيح .. كلا ... لا تظنَّ المماليكَ هــم وحدَهم الراسفين في أغلال العبودية ... إن هؤلاء المالكين لأحطُّ عبوديةً منا ..

مسعود : لا أفهم ما تقول .

مــابه : بل يجب أن نفهمَ جميعاً أن هؤلاء الذين سلبونا حقَّنا الانسانيَّ . قد جردوا أنفسَهم في الوقتِ نفسه من مزايا الإنسان ... فنحن وهم سواء في الحاجة الى التحرر من هذا الهوان ...

مسعود : هذا صحيح ...

ربيح : أما أنا فلا أريد أن أحمِّل نفسي عبءَ الأمل فوق عبء العبودية ... فانتظرا ماتشاءان .. وسأكتفي بانتظار الموت الذي بيدِه وحــده إنقاذُ المعذبين البائسين ...

(خطا .. وتمتمات تبدأ خافتة ثم تتضح ..)

مسعود : لا بد أن اليهودي قادم ... فدعونا من الكلام ..

صوت : ألا ترى ذلك يا يعقوب ! لا شك أننا حُرمنا خيراً كثيراً بوفاة هذا الناسك .

مـــابه : انتبها ... إن هناك رجلين منهم يتحدثان في الموضوع نفسه ..

يعقوب : حقاً ... ولكنَّ المشكلةَ التي أثارها أمسِ ستُولد مشاكلَ يا حُيَيّ ..

حيي : لقد تَركتْني في بحرانٍ من الأرقِ لم أستطعْ معه نوماً ...

يعقوب : ما أحسب أحداً من الذين سمعوه قد استطاع نوماً هذه الليلة ..

حيي : اني حتى الآنَ لم أنتهِ الى قرارٍ في موضوعِ هذا النبي .. الذي أثار خبرُه كلَّ هذه العواصف ..

يعقوب : أما أنا فقد عزَمت وتوكلت..

حيي : وعلامَ عولت ؟... أخبِرْني .. لعلي أتفقُ معك ..

يعقوب : أنا باقٍ على هوى قومي .. إن رشدوا رشدت ، وان غَوَوا غويت ..

حيي : بئس ما اخترتَ لنفسك ؟... أما أنا فلن أوثرَ أحداً على الحق حينَ يتضح لي أمرُه ...

مـــابه : **(صائحاً في غير وعي)** : هذا والله تفكيرُ الأحرار..

ربيح : ماذا تعني ؟

مسعود : ومَن تخاطب يا مابه ؟!

مـــابه : عفواً يا مسعود انها كلمة .. أفلتت من شفتي دون انتباه !..

المشهد العاشر

مسرح العمل : الحقل . قُبــاء .
الأشخاص : مابه . صبيح ومحبوب . مملوكين . حويطب وابن عمه عثمان .

(.. وأخذ حديثُ ابن الهيبان طريقَه الى كل شفة ولسان ، في يهودِ قُرَيظةَ والنضير وقَيْنُقاع ... وقد رافق ذلك تغيراتٌ كبيرة طرأت على حياة جيرانهم العربِ من سكان يثرب .. ذلك أن جماعة من حجاجهم قد عادوا من مكةَ ليبشروا بمبعوث من بني هاشم ، يدعو الناسَ الى الخيرِ الأكمل ممثلا في توحيد الله ، والعدالةِ الشاملة ، والأخوة العامة بين عباده ... وها هي ذي دعوتُهم تكتسحَ جوانب يثربَ حتى لا تخلوَ منها دار .. فتوُلفُ القلوبَ ،

وتستأصلُ الخصومات ، وتنشر روحَ السلام في بلد
لم يعرفِ السلامَ منذ وطىء اليهودُ أرضَه ...
ويَلحظُ مابه هذا التغيرَ في قرنائه من عبيد يثرب ،
فينفردُ ببعضهم يَستقصي منه آخرَ الانباء :

مـــابه : أي صبيح ... لقد عَهِدتُك من قبلُ كثيرَ التذمر . شديدَ النقمة .. أبداً تشكو الغلظةَ والحرمان .. فما هذا التحول الذي غمرك ورفاقَك بغبطة غير مألوفة؟

صبيح : ألم يأتِكَ النبأُ العظيم !... لقد أنقذنا الله من الظلم القديم ، برسوله الكريم ...

مـــابه : بالله عليك إلاّ أوضحتَ ما تريد ... فأنا لا أفهم من سجعاتك الفرِحة شيئاً .

صبيح : ألم تعلمْ أن الله قد أرسل محمداً رحمةً للعالمين !..

مـــابه : محمداً !...

صبيح : أجل يا مابه ... محمد بن عبد الله ... وها نحن منذ أن هدانا الله وسادتَنا لاتباعه نَنْعَمُ معهم بمساواة لم تحلمِ الدنيا بمثل جمالِها ...

مـــابه : مساواة !....

صبيح : أجل يا مابه ... انظر .. ألا ترى بعينيك !.. اننـــا لَنَلْبَسُ من ثيابِهم ، ونأكلُ من طعامِهم ، واذا كلفونا عملاً أعانونا عليه . فلا تكاد تفرق بـــين المملوك منا ومالكه ...

مـــابه : حقاً .. انهذهلأعجوبةٌلاتكادُ تُصدَّق ..ولكن..

صبيح : وما شأننا بلكن !

مـابه : لكن ... أريدُ أن أسألك : أحقٌ ما يزعمه اليهودُ من أن هناك معارضةً قويةً ضدَّ هذا الدين في قلبَ يثرب ؟.....

صبيح : ذلك أمرٌ لا بدَّ منه .... وهل تنتظر لِحَدَثٍ كهذا أن يستقبله الناس كلُّهم بالرضى !

مـابه : حقاً ... لا ..

صبيح : وهكذا أمرنا مع ابي الحَبابِ بنِ سَلُول ...

مـابه : تريد سيدَ الخزرج !....

صبيح : بلى ... ذاك الذي كان على أهْبَةِ أن يُتَوَّج ملكاً على يثرب، فلما بزغ نجم الرسالةِ الالهيّةِ انصرف عنه الأكثرون فَسُقط في يده ...

مـابه : اذن فهو الذي يقودُ المعارضة ضد هذا الدين الجديد في يثرب ؟...

صبيح : أجلْ .. ومعه ذَوو الأهواء من المنافقين ...

مـابه : كما يقودُها في مكةَ أبو جهل الحكمُ بنُ هشام ... ومعه جبارو قريشٍ من أصحاب المنافع ...

صبيح : يبدو أنك على علم بأنباء المِحَنِ التي يعانيها الرسول والمؤمنون في مكة ...!

مـابه : لم يعدْ هذا سراً ... وقد تحدثتْ به الركبان ...

صبيح : ولكنها غمرةٌ وتنجلي .. وستشق كلمةُ الله طريقَها بقوته . حتى تُشرقَ الأرضُ بنور ربها ...

مــابه : الغلبةُ دائماً لكلمة الله ...

صبيح : فلتكنْ يا مابهُ اذن من جنودِ هذه الكلمة ... لا تتر دد في الإقبال على هذه السعادة ...

مــابه : **(بعد صمت ..)** .. لا تَعجلْ عليّ ... دعني أفكر ..

(خطا مسرعة تقترب ...)

صبيح : هذا محبوب ... يُقبل من يثرب ... ان في وجهه لخبراً ....

محبوب : السلام عليكم .

صبيح : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..

مــابه : وعليكم السلام ......

صبيح : ان في وجهك يا محبوبُ لبشرى ...

محبوب : وأيُّ بشرى يا صبيح !... لقــد لقّنَنِي سيدي البواكير الأولى من الوحي الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم ...

مابه وصبيح : حقــاً !!...

مــابه : بالله عليك ... إلاّ ما تلوتَ ذلك عليّ يا محبوب !..

صبيح : إقرأ يا محبوب اقرأ ... فما أحوجنا الى آيات الله تربي أرواحنا على طاعته !...

محبوب : **(في ترنيم مجوَّد)**: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم : إقرأ باسمِ ربِّكَ الذي خلق . خلق الانسانَ من عَلق . إقرأ ، وربُّك

الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم .
يَعلم ... كــلا ... ان الانسانَ لَيطغى. أنْ رآه
استغنى . ان الى ربِّك الرُجعى... »

صبيح : **(... ان الانسان ليطغى .. ان رآه استغنى ! ..)**
صدق الله العظيم ...

مـــابه : **(بلهجة المأخوذ)** : هذا شيءٌ فوق طاقة البشر !..

صبيح : ومع ذلك يحمله الى الناس أُميٌّ لم يتَلَقَّ علماً قط .

محبوب : ولكن .. أدَّبه الله فأحسنَ تأديبَه ...

صبيح : لا تَحرمْ نفسَك هذا الخيرَ يا مابه ...

مـــابه : قلت لك : دعني أفكر وأتدبر ... والآن ... يؤسفني
أنني مضطر الى فراقكما ، فقد تأخرت عن عملي
أكثر مما يجب ... وأوشك صاحبي الأشهليُ أن
يحضر ... عِموا مساء ...

صبيح : بل قل : السلامُ عليكم ... انها تحيةُ النبوةِ يا مابه .

مـــابه : السلام عليكم ...

كلاهما : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .
(خطى مابه .. يتسلق الشجرة ، ثم يباشر العمل) .

مـــابه : **(مردداً في خشوع)** : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم: إقرأ باسم ربك الـــذي
خلق .... الرجعى .. »
(بلهجة التساؤل) : ..ان الله يبدأ رسالتَه الى
محمدٍ بالتوجيهِ الى القراءة ، وهو الأميْ الذي لا

يُحسنُ قراءة ... أليس ذلك إيذاناً بأن رسالتَه هذه انما هي رسالةُ تحريرٍ للعقل البشري من قيود الجهالة والتبعية ؟.. أي تحرير أعظمُ من أن يؤمنَ الانسان بأن الله الذي أبدع الانسانَ من علق ، قد تلطف به واكرمه فَمَيَّزه على سائر مخلوقاته بالعلم والفهم ! ومع ذلك يَصرفُه الغرورُ عن شكر المتفضل فيطغى ويُفسد .. ناسياً أنه خاضعٌ أبداً لقبضةِ الله ، عائد اليه ، قادمٌ على محكمته .. التي لا يعزب عن حسابها شيء ... ! ...

مـابه : (يردد من جديد وفي خشوع عميق) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم : ... إقرأْ باسم ربك الذي خلق ....الرجعى .. »

(خطى مفاجئة .. وحوافر حمار ..)

حويطب : (من بعيد) : ايها العبيدُ المناكيد !.. انكم لَتَتَباطَئُون .. عجلوا وأتقنوا ... وإلاَّ جزيتكم بحرمانِ الغداء ...

(حوافر الحمار ونهيقه وهو يقترب) :

أحسنتَ يا مابه .. أنت لا شك أفضلُ عبيدي نشاطاً وإتقاناً ... وسأخصك بمكافأةٍ من الرُّطَبِ تتصرفُ بها كما تشاء ...

مـابه : (يغمغم في خشوع وهو مستمر في عمله) : أعوذ

بالله .... الرجعى .. »

(خطى تقترب ..)

حويطب : مَن القادم ؟.. عثمانُ ابن عمي ؟... يا مرحبا ...

عثمان : طاب يومُك يا حويطب ... كيف أنت ؟...

حويطب : كما ترى ... عَناءٌ لا ينتهي ... وعبيدٌ لا يكادون يعملون الا خَشيةَ السوط ...

عثمان : ولكنه عَناءٌ لذيذ على كل حال ... لا كالذي ينتظر يهود ...

حويطب : ماذا ؟.. هل من جديد عندَكم ؟!

عثمان : كلا .. بل الجديد في يثرب ..

حويطب : وما ذا رأيت هناك ؟

عثمان : قاتل اللهُ الأوسَ والخزرج ... لقد تركتُهم مجتمعين بقُباءَ على رجل قدم عليهم من مكة ...

حويطب : لعله واحد من دعاة صاحبِهم الهاشمي ... الذي يزعمُ أنه نبي ؟

عثمان : بل انه هو نفسُه ..

حويطب : اذن فقد قَدِم محمد !...

عثمان : أجلْ .. لقد قدم محمد ... ألم تصلْ الى أسماعِكم أصواتُ المنشدين ودويُّ المزاهر !...

حويطب : بلى ... ولكن حَسِبْنا هناك احتفالاً بزفاف ...

عثمان : الويل لِيهودَ ان لم تتدبرْ أمرَها بسرعة !...

حويطب : أنت على حق ...

مــابه : (يهبط من على الشجرة) : ماذا تقول ؟.. أقدم محمد حقاً؟ هل رأيته ؟.. هل شا .....

عثمان : (بغلظة) : يا لك من وقح !... أتدع عملَك . وتنحدرُ من أعلى النخلة لتقولَ مثل هذا الفُضول؟.

حويطب : ويحَك ! ... ارجعْ الى عملك قبل أن أريحَك من جمجمتِك ....

مــابه : آه ... عذراً ... أنا أردت ....

حويطب : عُدْ حالاً الى رأس النخلة ... والاحُرمتَ طعامَك ومكافأتَك ...

مــابه : نعم ... نعم .... هاأنذا عائد . (يتسلق النخلة)

(صمت ... ثم حركة وخطى ...)

مــابه : (لنفسه) : ما هذه الحَيرةُ التي تستحوذُ عليّ ! ! . أراني مُوَزَّعَ القوى بين الحصنِ ويثرب ... أأمضي الى دار حويطب كشأني كلَّ يوم .. أم أتحولُ الى طريق يثرب ؟. لا ... لن أعودَ الى الحصن قبل أن أرى محمداً ..ولتكن مشيئةُ الله. إن الله سيكلؤني برعايته ما دمت في طاعته ...

(وتسرع خطاه ... ممتزجةً بثغاء الشياه .. ثم مزمار حنون يصور طبيعة المساء ..)

مــابه : ما أرقَّ هذه الأمسيةَ . وما أنعشَ نسيمها !... يُخَيَّلُ الي أنني أخِفُّ وأخِفُّ حتى أكادَ أطير ... أو أن السماء تدنو حتى أكادَ ألمسُها ... يالله !.... إنني لأحسُّ الكل شيء هنا جمالاً ما

كنت لإعهَدَه من قبلُ ... أكاد أسمع كل شيء
يغني .... يهزج .... يبكي ...

(وانتهى مابه الى قُباء ... واتجه نحو مجتمع الناس . ثم أخذ يحدق صوب الرجل الذي تحلقوا من حوله . لقد بدا هذا الرجلُ لِعينيْ مابه أنموذجَ الانسانِ الكامل ... إن في وجهة الأزهر لَجاذبيةً عجيبة ، وان في عينيه النجلاوين لَشعلةً من ضياءٍ خفي تفجر الحب والطمأنينة في القلوب ... إذاً تكلم رئيَ كالنور يخرج من ثناياه ، وإذا ضحك يتلألأ تلألُوءَ القمرِ ليلةَ البدرِ .. يزينُ ذلك كلّه لحية كثيفةٌ أنيقة تملأ صدرَه الرحبَ ، كأنما خيوطُها السودُ صورةٌ من بقايا الليلِ المَهيبِ تُحيطُ بطلعة الفجر الصادق ..)

مــابه : السلام عليكم ورحمة الله .

أصوات : **(كثيرة ..)** وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..

مــابه : افسحوا لي ممراً الى محمد ....

(حركة .. وخطى ..)

مــابه : أيها الرجل المبارك ... انه قد بلغني أنك رجلٌ صالح ومعك أصحابٌ لك فقراء ، وهذا شيءٌ من الرُّطَبِ كنت قد أعددتُه للصدقةِ ، فرأيتُكم أحق به من غيركم ...

(ووضع مابه قَوْصَرَةَ الرُّطَب بين يدي محمد ...

وانتظرَ نتيجةَ تجربتِه ... وأخــذ محمدٌ الرطب
مبتسماً ثم دفعه الى أصحابِه وهو يقول : إني لا
آكلُ الصدقةَ ، ولكن خذوا أنتم فكلوا باسم الله .

مــابه : **(متمتماً لنفسه)** : هذه واحدة يا مابه .. فلأنتظرْ
حتى تتِمَّ بقيةُ العلامات ..

المشهد الحادي عشر

مسرح العمل : يثرب . حصن قريظة .
الاشخاص : مابه . حويطب . صبيح . أنصار ومهاجرون .

(ظل مابه مأخوذاً بتلك الظواهر العجيبة التي طالعته مساءَ أمسِ في قُباء .. ولعل أشدَّها تأثيراً في قلبه تلك الوحدةُ التي لَمَسَها بينَ مختلف الأجناس والألوان من أصحاب محمد... لقد رأى حوله الأبيضَ والاسودَ ، والروميَّ والحبشيَّ ، وقد انتظمتْهم أُخُوَّةُ العقيدةِ ، فلا فرق بين السادة وعبيدِهم . وحتى محمد نفسُه لا يختلفُ عن أحد بأي ثوبٍ أو شارة !.. انه لَضربٌ جديد من المجتمعات لم يعرف مثلَه في فارسَ ذاتِ الطبقيةِ المتعصبة ، ولم يرَ له أثراً في ربوع الروم ذات العِرقية المتجبرة ...

(... ومع ذلك فان مابهَ لا يريد أن يستبق الزمن ، فيحكم بهذه المظاهر وحدَها على مصيره .. الذي جاهد طويلاً في البحث عنه .. فليصبرْ اذن حتى يتحقق من بقية إشارات الأسقف ..

ومرة أخرى يأخذ الفتى طريقه باتجاه يثرب ..)

(خطى ... وحركة المارة ...)

مـــابه : السلام عليكم ..

صوت : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... ألستَ الذي أتيتَ رسولَ الله بالصدقة يوم أمس ؟

مـــابه : بلى .. أنا هو .. واني أحمل اليه اليوم هذه الهدية من الرطب ، فهل لك أن ترشدني الى مكان وجوده؟

الصوت : حباً وكرامة ... اتبعْني .

مـــابه : (لنفسه ..) : نبي من العرب .. بدين ابراهيم .. نخل بين حَرَّتين .. لا يأكلُ الصدقة !.. كل هذا قد تحقق حتى امسِ .. وقد بقيت العلامتان الأخيرتان .

الوفيق : هو ذاك رسول الله ...

مـــابه : السلام عليكم ..

اصوات : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..

مـــابه : أيها الرجل الصالح .. اني رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هديةٌ اكرمتُك بها ..

(يأخذ رسول الله الرطبَ .. فيأكلُ منه ، ويقدمُ لأصحابه قائلاً : كلوا باسم الله ..)

مـــابه : (في شبه همس) : لقد أكل من الهدية... وبقيت العلامة الأخيرة ...

صوت : مالك أيها الفتى تدور حول رسول الله ...

صوت آخر : إنه يتطلع الى ما تحت ردائه ... كأنه يفتش عن شيء !..

مـــابه : (في عفوية) : أجل .... أفتش عن .....

(ويصيح فرحاً): لقد وجدتُها .. انها هنا .. هنا بين كتفيه ! ....

أصوات : ماذا تعني ؟...

مـــابه : شامةٌ سوداء كحبة الفرصاد ... تلك هي واللهِ خاتم النبوة ...

(ويغلب الانفعال على صوته ... فيتمتم باكياً) :

الآنَ تحققتْ نبوةُ أشعياء : « الشعبُ السالكُ في الظلمة أبصر نوراً عظيماً .. لأنه يُولدُ لنا ولد ... آيةُ الرئاسةِ على كتفيه .. ويدعى اسمه عجيباً .. مشيراً ... قديراً ... أباً .... أبدياً ... رئيس السلام .. »

أشهد إنك لَرسولُ الله ... أشهد إنك لرسول الله..

(يقول رسول الله : بارك الله فيك مِن عبد صالح ..)

مـــابه : الحمد لله الذي يَسَّر لي السبيلَ اليك . وهداني على

يديك ... كم أود أن ألازمَك ، ولكني عبد مملوك وعلي أن أعود الى سيدي ..

(خطى مابه في عودته الى حصن قريظة ...)

مـــابه : **(في نجوى سعيدة)** : إشاراتُ أسقف عمورية ، ومواعظُ الناسك ابن الهيبان .. ونبوةُ أشعياء ... قد تحققت جميعُها ... فلْتُرَدد الأرض كلها بعد اليوم ترنيمةَ النبيِّ داوودَ في هـذا النبي العربي المنشود **(في لحن خاشع)** : « غنوا لله .. أعـدوا طريقاً للراكب في القفار باسمه .. ابو اليتامى ، وقاضي الأرامل ... يقضي لمساكين الشعب .. يخلص البائسين ، ويسحق الظالم .. يُنجي الفقير المستغيث والمسكين ... ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف ... »

(خطى .. ومن بعيد هديل ورقاء شجي ..)

حويطب : مابه !.. هذا أنت ؟... لا بد أنك كنت خارج الحقل .... أليس كذلك !... أيها العبد المنكود .

مـــابه : **(غارقاً في تصوراته وفي خشوع)** : « غنوا لله .. أعدوا طريقاً للراكب في القفار باسمه .... ..

حويطب : أيها الوقح ! أسألك أين كنت فتقرأ لي من الزبور !. أريد أن أعرفَ أين كنت ..

مـــابه : عذراً يا سيدي... لقد شغلتني الغبطة بنورِ الله عن ظلمات الأرض ..

حويطب : انها لَطلائعُ جنون !.. لا بد أنك قادم من يثرب ..

مـــابه : هو كذلك يا سيدي ...

حويطب : اذن فقد كنت عند محمد !...

مابه : بلى ... عند محمد رسول الله ... فَهَلُمَّ اليه .. هَلُمَّ يا سيدي الى سعادة الدنيا والآخرة ..

حويطب : الويل لك أيها الشقي .. ألا يكفيك أنْ صبوت .. حتى تدعوني الى متابعتك !!....

(ويهوي عليه ضرباً ..)

مـــابه : سيدي ... والله لا أدعوك الا لسعادتك ..

حويطب : (وهو يضربه) : إخرسْ... اخرسْ .

مـــابه : سيدي .. رجل في مثل عقلك لا ينبغي أن يتجافى عن كل هذا الخير ...

مـــابه : (مستمراً في الضرب) : قلت لك اخرس .. أيها الشقي !

مـــابه : تالله لا يشقى مؤمنٌ بمحمد ... ولو أنت فكرت في هدوء لأدركت صحة ما أقول ...

حويطب : شد ما أفسدكم هذا الهاشميُّ المطرود .. أيها العبيدُ الأذلة ! لقد نفخ في صدوركم روحَ التمرد . حتى أصبح المملوك منكم يجد نفسَه نـــداً لسيده .. يجادله .. ويتصدرُ لارشاده !...

مـــابه : (يرنم في بهجة وخشوع) : غنوا لله ... أعـــدوا طريقاً للراكب في القفار باسمه ...

حويطب : يا لها فتنة !... ان لم تُطفأ منذ الآن ، لتتقلبنّ أوضاعَ الحياة ...

مـــابه : غنوا لله ....

حويطب : إخرس .. أيها الوقح ...

مـــابه : ابو اليتامى .. قاضي الأرامل .. يقضي لمساكينِ الشعب ....

حويطب : إخرس .. أولاَ قْطَعَنَّ لسانَـــك ... **(يستأنف ضربه ..)** لن أدع لكَ سبيلاً الى يثرب بعدالساعة..

مـــابه : نسيت أن أخبرك يا سيدي أن الله قد أذهب عن يثرب كل تثريب ...

حويطب : **(يشتد في ضربه)** : أيها الوغد ..! لن تذهب الى يثربَ بعد اليوم ...

مـــابه : لم يعد اسمُها يثربَ .. ان اسمَها الجديد طَيبةُ .. لقد طابتْ برسولِ الله ..

(خطى ... وحركات عمل .. في الحقل)

مـــابه : أي صبيح .. لقد أثلجت صدري من قبلُ بأنباء الاسلام في بدر ... ولكنك لم تحدثني بما تم لرسول الله أمسِ في أُحد ... انني قلق يا صبيح .. ويزيد قلقي ما أراه في وجوه يهودَ من البِشْر وهـــم يتهامسون في هذا الأمر ...

صبيح : لقد حقق الله وعده لرسوله ، فنصر القلة المؤمنة على الكثرة الباغية .. ولكن ...

مـــابه : ولكن ... ماذا ؟!

صبيح : ولكن رماة المسلمين خالفوا وصيةَ رسولِ الله رغبةً في الغنيمةِ فحرمهم اللهُ ثمرةَ الظفرِ آخرَ الأمر .. واتخذ منهم سبعين شهيداً ..

مـــابه : سبعين شهيداً !.... انه لَنَبَأ فاجع يمزق قلبي يا صبيح ...

صبيح : انها لَكارثة.. ولكن مخالفةَ رسولِ الله ذَنب يقتضي العقوبة ..

مـــابه : صدقت .. وليست هذه النكبةُ سوى تأديبٍ ربانيٍّ لنفوسِ المؤمنين ..

صبيح : هكذا فهمها صحابةُ رسولِ الله .. فقد علموا ألاَّ نصرَ الا بطاعته ، وأن عليهم أن يُصَفّوا قلوبَهم من عبوديةِ الدنيا ، ليكون عملهم خالصاً لوجه الله .

مـــابه : وهكذا يحوِّل الايمانُ الواعي الكوارثَ الى دروسٍ تُصَحِّح وتُصَفّي ..

صبيح : بقي أن أسألَك يا مابه .. هل فاتحت اليهودي في شراء نفسك منه ؟

مـــابه : **(بعد تنهدة حزينة)** : تَعِسَ هذا اليهودي .. أتدري يا صبيح كم طلب مني !! ثلاثمئة نخلة مكفولةِ الحياة .. ثم أربعين أوقية من الذهب الخالص ... !

صبيح : يا لَلجشع !... ان هذا طلبُ مَنْ لا يريد بيعاً ...

مـــابه : هذا ما بدا لي ... وإلا فَمَن لي بهذا الذهب ؟..
ومن لي بهذه الغِراس !.. ثم من لي بمن يكفـــلُ حياتها ؟!.

صبيح : لم لا تعرض الأمر على رسول الله ؟.. فلعل اللهَ مفرجٌ كربتَك على يديه ..

مـــابه : هذا ما أفكر به .. ولكن كيف أستطيع التسللَ الى رسولِ الله .. وهذا اليهوديُّ ، كما ترى ، يسد علي السُبُلَ ، ويُحصي علي الانفاس !..

صبيح : حقاً .. إن موقفك لعسير ..

مـــابه : لقد أمسيت يا صبيح كالبلبلِ الحبيس . يـــرى الفضاء حولَه مائجاً بالطير . فلا يَملكُ الا أن يضربَ جدرانَ قفصه بجناحيه تلهفاً الى الحرية ..

صبيح : كان الله معك يامابه ...

مـــابه : لقد خطرت لي فكرة ... انني أستطيع الافلاتَ من مراقبة اليهودي اثناءَ العودة الى الحِصن .. سأنتهزُ هذه الفرصةَ لأواجهَ رسولَ الله ، وليفعلْ الباغي ما شاء ...

(ثغاء..رغاء..حركةأقدام وحوافر ... وأظلاف ..)
(ويشكو مـــابه أمرَه الى رسولِ الله .. فيَطَيِّبُ قلبَه .. ثم يهتفُ بالمؤمنين : « أعينوا أخاكم ..)

صوت : عليَّ عشر غراس يا رسول الله ..

صوت : عندي خمس عشرة .

صوت : ومني عشرون .....

(ويقول رسول الله لمابه : « اذهب فاعـدد الحفر لأغرس لك النخيل ...)

(... خطى ... أصوات معاول ..)

حويطب : أي مابه !.. ان غِراسَك سَلِمَتْ كلها .. ولم يبقَ عليك الا الذهب ...

مـابه : ان الذي أحيا هذه الغِراس ببركة رسول الله ، لن يُعجزَه أمر الذهب ...

حويطب : يا لَلايمان !... ولكني لن أنتظرَ طويلاً .. وعليك أن تذهب الآنَ الى محمدٍ لتأتيَ بتتمةِ الحق ..

مـابه : أفعل ...

حويطب : اسمع .. إن الذهب سيحقق لي رِبحاً كثيراً .. ولهذا أوكدُ عليك أنني لن أقبل أي تأخير بشأنـه ... أفهمت !..

مـابه : **(في صوت منخفض)** : كيف لا أفهم !... أليس الذهبُ هو معبودَكم القديم ! !

(خطى مابه المسرعة ..)

مـابه : ... يا رسول الله !... لقد استوثق اليهودي من حياة الغراس ، وقد أرسلني بطلب الذهب ...

(و يمد رسولُ الله يده الى مابه بقطعةٍ من الذهب في حجم بيضةِ الدجاجة وهو يقول لهٌ : « خذ هذه فأدِّها مما عليك ...)

مــابه : (مستغرباً) يا رسول الله .. ان اليهوديَّ يقتضيني أربعين أوقيةً من الذهب ، وأين تقعُ هذه القطعةُ الصغيرة من ذلك ؟!...

(يقول رسول الله : « خذها .. فان الله سيؤدي بها عنك » ... ولم يبقَ أمام مابه مجالٌ للتردد فعاد الى اليهودي بقطعةِ الذهب .. وما كان أشدَ عجبَه ، وهو يَزِنُ لابنِ الأشهلِ فديتَه من السبيكةِ ، حتى استوفى مطلبَه أربعين أوقيةً كاملة ! ..)

حويطب : لقد أصبحتَ حراً منذ الساعةِ يا مابه ..

مــابه : هذه حريةُ الجسد .. أما حريةُ الروح فقد سَعِدتُ بها منذ اليوم الذي عرفت فيه رسول الله ..

(خطى ... وتغريد بلابل ممزوجاً بثغاء الشياه ..)

مــابه : السلام عليكم ...

أصوات : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...

: لِتهنِك الحريةُ يا مابه ..

: لن تتركَنا بعد اليوم ..

: الآن تستطيعُ أن تَفرغَ لخدمةِ الاسلام .

مــابه : أجل ... أيها الإخوة الأحبة ... انني أسعد مخلوق بهذه الحرية ... لأنها ستمكنني أن أضع نفسي كلَّها معَكم تحت تصرفِ رسول الله ...

مهاجريّ : يا رسول الله .. لقد هجر مابهُ وطنه في سبيل الله .. فهو بذلك منا معشرَ المهاجرين ..

آخر : أجل .. يا رسولَ الله .. فاجعلْه معنا ...

أنصاريّ : بل اجعلْه منا نحن أنصارَ اللهِ يا رسولَ الله.. فنحن به أولى ..

آخر : بلى يا رسول الله .. ان مابهَ من أنصارِ الله ورسولهِ

(ولكن رسول الله يفصلُ بينالمهاجرين والانصار ، فيَعُدُّه واحداً من المهاجرين ... ثم يؤاخي بينه وبين صاحبه الانصاري أبي الدرداء ، فيكون بذلك واحداً من الأنصار .. ويسمع الجميع حكمَ نبيّهم الحبيب ، اذ يُعيِّنُ للمهاجر البعيد .: اسمَه الجديد .: ونسبتَه السعيد فيقول :

« سلمانُ مِنّا أهلَ البيت » .

آثار المؤلف

١ – فضائح المبشرين	رد على شبهات	نفد
٢ – اليوبيل الذهبي	دراسة عن المجتمع النصيري	نفد
٣ – المرشد في الأدب العربي	بالاشتراك مع بعض المدرسين	نفد
٤ – نار ونور	مجموعة شعرية	نفد
٥ – من تراث الأبوة	مسرحية تاريخية	نفد
٦ – قصص من الصميم	مجموعة قصصية	نفد
٧ – قصص من مجتمعنا		
٨ – قصص من سورية	طبعة ثانية	
٩ – قصص للشباب والطلاب	طبعة ثانية	
١٠ – بطل إلى النار	طبعة ثانية	
١١ – قصتان من الماضي	طبعة ثانية	
١٢ – صور من حياتنا	طبعة ثانية	
١٣ – نظرات تحليلية في القصة القرآنية	طبعة ثانية	
١٤ – دروس من الوحي		نفد
١٥ – (الأدب العربي) للسنة الأولى من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة	بالاشتراك مع أحد الأساتذة	

١٦ ـ (الأدب العربي (للسنة الثانية من الجامعة)
١٧ ـ همسات قلب — مختارات من شعر المؤلف
١٨ ـ مشكلات الجيل في ضوء الاسلام
١٩ ـ تأملات في المرأة والمجتمع
٢٠ ـ مشاهد من حياة الصدّيق
٢١ ـ أفكار اسلامية
٢٢ ـ الآيات الثلاث — حوارية تاريخية

يصدر قريباً

١ ـ صور ومشاعر — مذكرات أدبية
٢ ـ أحاديث قصيرة
٣ ـ من أجل الاسلام وحواريات أخرى
٤ ـ قصتان من الماضي — طبعة ثالثة
٥ ـ قصص من مجتمعنا — « ثانية
٦ ـ دروس من الوحي — » »

ملتزم التوزيع لجميع مطبوعاتنا
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت ص. ب ٧٤٦٠

الثمن ١٥٠ ق. ل
٢ ر. س